الفصل الثانى

شعر المناسبات الدينية فى
"النصف الثانى من القرن العشرين"

المبحث الأول

محاور شعر المناسبات الدينية فى
النصف الثانى من القرن العشرين

القيم الإسلامية فى شعر المناسبات الدينية المعاصر :

قلنا فى حديثنا السابق عن شعر المناسبات الدينية عند شعراء الأزهر، إنه كان يتطور تطورًا تدريجيًا فى كل مرحلة من المراحل التى تحدثنا عنها، حتى بلغ درجة عالية من الجودة والإتقان فى النصف الأول من القرن العشرين، حيث بدا شعراء الأزهر مدركين لكل ما يحيط بهم وبوطنهم من ظروف وملابسات ترجع فى أغلب الأحيان إلى الاستعمار ومشاكله فى البلاد، وما صحبه من تيارات ملحدة نفثت سمومها فى أرض الإسلام، ونشرت وباءها فى كيان الأمة الإسلامية الجريحة، والتى كانت فى حاجة ملحة إلى من يأخذ بيدها، وينتشلها من عطب الواقع المر الأليم.

ولما كان النصف الثانى من القرن العشرين، وانزاح الاستعمار بهمومه وغمومه من فوق صدر الأمة الإسلامية، بدأ الناس يتنفسون عبير الحرية، ويخلدون إلى شيء من الراحة والاطمئنان، بيد أنهم ما كادوا يفعلون ذلك حتى تحركت عقارب الشر الاستعمارية الطامعة مرة ثانية، ونبتت لها أنياب وأظافر، وحملت على الإسلام فى هذه المرة حملة شعواء، وكان هدفها : التقليل من شأنه، والحط من قدره، واقتلاعه من قلوب أصحابه إن أمكن ذلك.

وفى هذا الجو المعتم ، لم يكن من المعقول ولا المقبول أن يقف شعراء الأزهر أمام هذا الطوفان الحاقد على الإسلام ، مكتوفى الأيدى ، مكممى الأفواه ، خاصة وهم يحملون بين جوانحهم غيرة شديدة على الإسلام ومبادئه العادلة ، ويجعلون الدفاع عنه جهادًا فى سبيل الله .

ولعلنا لا نكون مخطئين فى التقدير إذا قلنا : إن الشعر الإسلامى بعامة فى مطلع النصف الثانى من القرن العشرين كان يواجه أرزاءً وابتلاءات ، فقد أغلقت فى وجهه كل الأبواب ، وسدت أمامه كل الطرق بقوة القهر والبطش والسلطان .

"وعلة الرغم من كل ذلك ، فإن اشتداد المواجهة بين تيارات الغرب والإسلام على امتداد المرحلة قد حفزت الشعراء إلى مزيد من الإبداع والنشر فيما تيسر لهم من إمكانات ، حتى كانت الصحوة الإسلامية تشتد فى ظهورها مع بداية الربع الأخير من هذا القرن ، فلم تتخلف الحركة الشعرية عن مواكبتها والتعبير عنها ، وعن قضايا الأمة ، وما تموج به من صراعات وأحداث"[1] .

ولما كان الإسلام بقيمه العادلة ، ومبادئه الرفيعة ، يمثل قوةً خالدةً صامدةً مشرقة على مر الأزمنة ، فقد ظهر فى المرحلة المعاصرة من يحاول إطفاء هذا النور ، وتشويه تلك المبادئ .. ولكن هيهات !

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر ، أ.د. صفوت زيد ، ط ١٩٩٩م – ص ٤٦ ، التركى للكمبيوتر وطباعة الأوفست ، طنطا .

لقد وقف شعراء الأزهر كعظم الشجا فى حلق كل من يريد النيل من الإسلام وسماحته ، وجعلوا من أنفسهم جنودًا تحمل على أكتافها عبء الدفاع عن الإسلام ، وإبراز محاسنه التى حاول بعض الناقمين تغييبها عن الواقع .

وكان من هؤلاء الشعراء : "على العمارى" ، و "حسن جاد" ، و "محمد خفاجى" ، و "محمود فايد" و "محمد صان الدين ، و "يوسف القرضاوى" ، و "سعد ظلام" ، و "عبد الغفار هلال" ، و "أحمد عمر هاشم" ، و "الشحات ابو ستيت" ، و "رمضان البدوى" وكثير غيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم .

وهؤلاء جميعًا أخذوا يصححون المفاهيم المشوهة عن الإسلام أمام الوعى العربى المعاصر ، وكانوا فى انطلاقتهم هذه يتبنون جملة من المحاور الأساسية التى استفزتهم إليها ظروف الحياة المعاصرة .

وسنتناول هذه المحاور بشيء من التفصيل فى السطور القادمة :

أ. مزايا التشريع الإسلامى :

مزايا الإسلام ومحاسن تشريعاته الحكيمة أكبر من أن تحصى ، وأجل من أن تعد ، وفى محاولة ناجحة من شعراء الأزهر نجد أنهم قاموا بالرصد الكامل ، والتسجيل الأمين لمحاسن الإسلام ومزاياه ، خلال شعرهم الذى نظموه فى المناسبات الدينية المختلفة ، وباستقراء شعرهم فى هذا الجانب ، وجدنا أنهم كانوا دائمًا يبدؤن نظمهم بتصوير ما شاع فى العالم قبل ظهور الإسلام من ظلم ، وفساد ، وشتات ، وترد ، وصراع جعل الحياة لا تطاق ، والعيش لا يستساغ ، ثم يتخذون من ذلك كله منطلقًا للإشادة بالإسلام ومحاسنه التى أنقذت وجه الحياة من الاحتراق

بنيران الطيش ، والسفه ، والنزق ، وخلقت حياة جديدة هادئة كلها نماء وأمن وأمان واطمئنان .

ثم ينتقل الشعراء – بعد ذلك – إلى عرض قيم الإسلام ، ومحاسنه ، ومزاياه التى كانت سببًا لتغيير ملامح الحياة ، وانتشال الناس من حماقة الجهل ، وإنقاذهم من براثن الشر والطغيان ، وتوجيههم الوجهة الحسنة الحميدة نحو حياة أفضل وأرقى .

ثم يحاول شعراء الأزهر – بعد ذلك – التدليل على صدق مزاعمهم ، فيذكرون بعضًا من الشخصيات الإسلامية التى دخلت الإسلام ، ولم تكن تملك شيئاً سوى أنها تقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ " ويصورون كيف أخذ الإسلام بأيديهم ، وأعلى شأنهم ، ورفع قدرهم ، حتى صاروا أعلامًا عالية ترفرف فى سماء الإسلام ، بعد أن تجرعت غصص الماضى ، كرعت من مرارته ، وانسحقت بين راحات الزمان .

إن حياة الناس قبل بزوغ فجر الإسلام ، كانت حياة متردية فى جحيم البغى والحقد والعداء ، وكانت الصدور دائمًا تغلى مصطلية بنار الشرور والعداوات ، وكبار القوم كالطواحين التى لا تبقى ولا تذر ، وقد ألفوا العيش فى أحضان الأهوال ، والاستقرار فى معمعة المخاوف والصراعات ، تقودهم إلى ذلك أفكار وأوهام هائمة متخبطة حولت الحياة إلى مستنقع عفن ، ومباءة لا تطاق ، وليل مظلم ، وكيف لا ، وهم خفافيش مشئومة يعشقون العيش فى الخراب والدمار ، ويتطيرون إن ظهر نور ، أو لمحت بارقة أمل ورجاء تعلن عن ظهور فجر جديد .

يقول الشاعر "محمد عبد الرحمن صان الدين"[1] مصورًا الحياة قبل الإسلام ، من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف :

حياة فى جحيم البغ ى تغلى ... وطاحون يدور بلا رقيب
وأقوام على الأهوال ساروا ... وقروا بين ألسنة اللهيب

تعابثهم طيوف شاردات ... من الأوهام فى تلك السهوب[2]
وأفكار عشاوى هائمات ... بليل الجهل والسفه الغضوب
خفافيش يروعها ضياء ... كما ترتاع بالخطب المصيب[3]

لقد أصبح المجتمع مجتمعًا همجيًا ، تسوده الفوضى ، وتتحكم فيه العصبيات والعنجهيات الفارغة ، حتى أصبحت الحياة كالمرجل الذى تتقطع حناياه من شدة الغيظ والغليان ، لقد أشعل الحقد بيده فى القلوب فحمة الدياجى ، وزاد النفوس ضراوة وقسوةً وأنانية ، ناهيك عما غرقت فيه قوافل البشر من ضلال وانحراف ، وبعد عن منهج الحياة الشوية ، حتى عبد الناس الحجارة التى لا تضر ولا تنفع ، وأصبحت حياتهم قائمة على الظلم والجهل الجارف والسفاهة والتنابز والانقسام إلى جماعات متنافرة يكيد بعضها لبعض .

وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد المخيف من الضلال والابتعاد عن سبل الرشاد والهداية ، قل أن تجد منصفًا للحق ، أو راشدًا يضع الأمور فى نصابها .

---

١. ولد الشاعر ببلدة "برديس" ، مركز "البلينا" بمحافظة سوهاج ، فى الثالث من يناير لعام ١٩٢٣م ، حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية ، التحق بمعهد قنا الدينى ، ثم انتقل إلى معهد القاهرة ، حصل على الشهادة الأهلية الأزهرية عام ١٩٥٢م ، عمل مأذونا وخطيبًا ببلدته ، ثم حصل على دبلوم الدراسات التكميلية . انتقل إلى القاهرة عام ١٩٧١م ليكون قريبا من المحافل الأدبية والمكتبات العامة ، وظل يترقى فى وظيفته حتى رشح لوظيفة "موجة" ، ولكنه آثر الخروج إلى المعاش مختارا عام ١٩٨١م ليتفرغ للإبداع الأدبى . صدرت له دواوين : أعاصير وأنسام ، والإنسان فى الميزان ، وفى بحار الكون . (الأزهر ذو الحجة سنة ١٤١٨هـ) .
٢. الطيوف : جمع طيف ، وهو الخيال الطائف . والسهوب : نواحى الفلوات .
٣. ديوان : أعاصير وأنسام – ١٣١ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م .

يقول الشاعر "حسن جاد"[1] مشيرًا إلى هذا الفساد الذى غشى العالم فى هذا الزمان ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة "المولد النبوى الشريف"[2] :

والكون مشبوب الضرام مفزع ... قد لفه ليل الضلال المطبق
والحقد يوغل فى النفوس ضراوة ... ولشر يغلى فى النفوس ويمرق

والناس فوضى لا ترى من بينهم ... إلا عبيد حجارة لا تنطق
جهل وظلم عارم وسفاهة ... وتنابز وتحلل وتفرق
ضلوا عن الحق القويم وصدهم ... داع إلى عصبية يتمشدق
وإذا ادلهم الليل واعتكر الدجى ... لم يستنبن نور السماء محدق

وفى وسط هذا الفساد الطاغى ، والأحوال المنقلبة تكون الغلبة والسيادة للقوى ، فالحياة تسير محومة بقانون الغاب ، القوى يأكل الشعيف ، ويمحقه من فوق الأرض ، والضعيف مستسلم وادع لا حول له ولا قوة .

وقد كانت دولتا الفرس والروم هما سيدتى الميدان ، وقطب الدائرة الأمر الناهى ، وقد ذاق الناس من عنت الدولتين فى الماضى ما تنوء بحمله الجبال الرواسى ، فكلتا الدولتين كانت تمثل حوتًا كبيرًا يلتهم كل الشغار بقسوة ووحشية ولا من مغيث .. وقد خلت الساحة من بطل رشيد تحدثه نفسه بدفع الظلم وتقليم مخالب الشر .. وهكذا ظل الكون مشبوب الضرام ، يضج بالألم والصراخ .

---

١. ولد الشاعر حسن جاد حسن بقرية "منشأة الجمال" التابعة لمركز "منية النصر" بمحافظة الدقهلية" فى الثالث عشر من يناير لعام ١٩١٤م . درس فى الأزهر معهدا وجامعة حتى تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٣٩م وعين مدرسا بها عام ١٩٤٦م ، وظل بها حتى تولى عمادتها عام ١٩٧٨م ، وله ديوان شعر جمعه الباحث محمد خضر فى رسالة للماجستير ، وتوفى سنة ١٩٩٥م . (راجع : أشهر شعراء الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين، د. السيد غزالة ، ص ١٩٠) .

٢. ديوان حسن جاد ، محمد عبد الرحمن خضر – ص ١٢ .

يقول الشاعر "يوسف القرضاوى"[1] مشيرًا إلى هذا الظلم الواقع على إنسان ذلك الزمان ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة "ذكرى المولد النبوى"[2] :

ودولة الفرس حوت مثله كشرت ... أنيابه للورى بغيا وعدوانا

وحشية عمت الدنيا أظافرها ... جهالة أصلت الأكوان نيرانا !

الليل طال ألا فجر يبدده ؟ ... رباه أرسل لنا فلكا وربانا !

ولا تعجب إذا رأينا – فى هذا العالم الفارق فى حماقة الشرك والفساد – أن صلات الأرحام والقرابة قد تقطعت وتفتتت ، وأن معاول الهدم قد توجهت تجتث كل رابطة بين البشر ، فقد تناسوا تعاليم السماء ، ومبادئ الإيمان التى تؤكد على مبدأ التعاون والتعارف بين الناس ، حتى إنهم – لغفلتهم وانطماس معالم الرشد فى قلوبهم – تحولوا إلى عبادة غير الله ، حتى محا الجهل والحمق آثار السماء فى الأرض ، ولم يبق منها سوى بقية باقية تعلق بها جماعة الحنفاء من أمثال : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل .

وأمام هذا الفساد العظيم الشامل ، ازدادت الحياة سوءًا ، وبدت الدنيا فى حاجة ملحة إلى من ينقذها ويخلصها من هذا الضياع ، ويعيد صياغتها من جديد ،

---

١. ولد "يوسف عبد الله القرضاوى" فى قرية "صفط تراب" التابعة لمركز "المحلة الكبرى" بمحافظة الغربية عام ١٩٢٦م ، حفظ القرآن الكريم فى صباه ، درس فى الأزهر الشريف معهدا وجامعة ، تخرج فى كلية أصول الدين فى القاهرة عام ٥٢ – ١٩٥٣م ، وكان ترتيبه الأول ، وقد واصل دراسته حتى حصل على الدكتوراه ، ووضع العديد من المؤلفات القيمة مثل : فقه الزكاة (جزءان) ، والحلال والحرام ، وعالم وطاغية (مسرحية تاريخية) وله ديوان : نفحات ولفحات ، جمعة حسنى أدهم جرار ، والشاعر يعيش الآن فى دولة قطر . (راجع فى الترجمة : ديوان نفحات ولفحات ، الطبعة الثالثة) ..

٢. ديوان نفحات ولفحات ، جمع حسنى أدهم جرار ، ط٣ – ٤٢ ، دار الصحوة والنشر .

ويوجهها الوجهة الرشيدة نحو بناء حياة فاضلة ، وكان ذلك المنقذ هو ظهور الدين الإسلامى الحنيف .

يقول الشاعر "عبد الغفار هلال"[1] مصورًا لنا هذا الجانب من قصيدة له نظمها فى مناسبة المولد النبوى الشريف[2] :

تقطعت الأرحام عن ذى قرابة ... ومزقت الأوصال منها المعاول
تناسوا جهود الرسل لم يذكروا لها ... مبادئ إيمان رعاه الأوائل
وعاث كثير يجعلون هواهم ... عبادة غير الله والعقل غافل
ولم يبق للتوحيد غير أثارة ... وبعض خلال يصطفيها قلائل
تفاقم سوء الحال والركب حائر ... وأرقهم هدى من الله شاغل
فقيل رسول الله سوف يظهر أمره ... ويختم رسل الله والرشد آيل

لقد أصبح الناس فى هذا العالم يتوجعون من وطأة العبودية ، ويتقلبون على جمر الليالى ، حتى ضاقوا بالحياة ذرعًا ؛ إذ كانت حياتهم تشبه العدم ، وكأنهم لحقارة شأنهم ما عاشوا ولا خالطوا الحياة ، لأجل هذا كانت نفوسهم تتوق وتتلهف إلى من يأخذ بيدها ، وينشلها من وهاد الحياة المظلمة ، ويقيها أذى المتجبرين

١. ولد الشاعر "عبد الغفار هلال" فى قرية "برما" مركز "طنطا" محافظة الغربية فى الخامس عشر من سبتمبر عام ١٩٣٦م ، تعلم فى الأزهر معهدا وجامعة ، تخرج فى كلية اللغة العربية ، وواصل الدراسة بها حتى حصل على الدكتوراة فى علم اللغة عام ١٩٧١م ، قرض الشعر منذ أكثر من أربعين عاما ، وشارك به فى الندوات ، ونشر الكثير منه فى الصحف والمجلات والإذاعات ، وله ديوان "هذا الضياء" جمعته د. فردوس نور على حسين ، ونشرته دار الفكر العربى عام ١٩٩٦م ، وهو يشغل الآن منصب عميد كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

٢. هذا الضياء ، جمع ودراسة د. فردوس نور على حسين – ٣٩ ، ٤٠ ، ط دار الفكر العربى سنة ١٩٩٦م ، (والأبيات من الطويل) .

والطغاة الظالمين يقول الشاعر "سعد ظلام"[1] مشيرًا إلى هذا التطلع الظامئ إلى حياة الحرية والكرامة ، من قصيدة بعنوان "بشير الضياء"[2] :

تطلعت الأرض تبغى الخلاص ... وضاق الورى بالدجى الراعد
وغامت على شفتيها القرون ... ونامت على ساعدها مد
لها الله كم أملت أن يجئ ... نبى يقيها أذى الجاحد

وقد استجاب الله إلى تطلعات تلك النفوس المتلهفة إلى رؤية نور الحياة ، ففتح لهم طاقة من نوره ، ومنحهم الحياة من جديد ، فأرسل رسوله محمداً ﷺ منحة ورحمة وهداية للعالمين ، فالتفت حوله جموع البشر الذين أرهقهم ليل الظلم والعسف ، ودالت دولة الوحشية الظالمة ، وولت مسرعة وسهم الضياء بظهرها يتألق، وتحطم كبرياء المتكبرين الظالمين فوق تلك الصخرات التى كانوا يعبدونها من دون الله ، واجتمعت أمة الصحراء كالعقد المنظوم فى سلك قوى ، ووهبت أسباب الحياة من جديد .

يقول الشاعر "على العمارى"[3] مصورًا حكمة العناية الإلهية فى إرسال النبى ﷺ لإنقاذ العالم ، وتجميع ما تفرق من عرب الصحراء[4] :

---

١. ولد الشاعر "سعد عبد المقصود ظلام" فى "كفر سلامون" مركز "الشهداء" محافظة المنوفية عام ١٩٣٤م ، درس فى الأزهر الشريف معهدًا وجامعة ، تخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة ، وواصل الدراسة فيها حتى حصل على العالمية فى عام ١٩٧٢م ، وتولى عمادتها أكثر من مرة . ومن دواوينه الشعرية : أرواح وأعاصير ، وأطياف فى ليل الغربة . (راجع فى الترجمة : موسوعة أعلام مصر فى القرن العشرين ، ط ١٩٩٦م / ص ٢٣٥) .

٢. منار الإسلام ، عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ/ ص ٦٥ ، والأبيات من المتقارب التام .

٣. ولد الشاعر "على حسن العمارى" فى قرية بنى عمار ، من قرى محافظة سوهاج ، تعلم فى الأزهر معهدا وجامعة ، وتخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٤١م ، وواصل دراسته حتى حصل على الدكتوراه فى البلاغة عام ١٩٦٧م ، سافر للتدريس فى عدة دول عربية ، وأخيرًا استقر بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة حتى الآن . وله : القرآن والطبائع النفسية ، وديوان "الفجر الضاحك" (راجع : مجلة الأزهر ، ذو الحجة سنة ١٤١٤هـ) .

٤. مجلة الأزهر ، المجلد (١٤) سنة ١٣٦٢هـ/ ص ١٧٢ ، والأبيات من الخفيف التام .

ملـت البيـد مـن فسـاد وبغـى ... وضـــلال وفرقـــة وتعـــاد
فأتتهـــا عنايـــة الله تمحـــو ... كـل عـات علـى الليـالى وعـاد
خفضـت مـن جبـاههم وأذلـت ... دولـة الظلـم والهـوى والعنـاد
حطمـت كبـرهم علـى صـخرات ... عبـدوها مـن دون رب العبـاد
جمعـتهم كالعقـد نظمـا وكـانوا ... كرمـال الصـحراء راحـت بـداد

"وكيف لا يكون ظهور الإسلام ميلادًا حقيقيًا للحياة ... بعد أن قطع الطريق على كل المؤلهين من الحجر والبشر ... وأصبح الناس جميعًا سواء" أمام الله جل جلاله ؟ (فلقد) توحدت الصفوف ، والتحمت النفوس ، وانطلقت القوى الإيمانية تبنى الحياة ... على أسس من المحبة والتراحم والمساواة"[1] .

وهذا هو الشاعر فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى[2] يكشف لنا عن سر البعثة المحمدية ، وعن الحكمة من إرساله ﷺ فى هذا التوقيت ، معللاً ذلك بأن الكون قد كثرت فيه الأدواء والأمراض ، وعمت فيه الفوضى ، وانتشر الفساد ، وحاد الناس عن الحق وارتموا فى هوة الضلال والكفر ، فكانت رسالته ﷺ بمثابة الدواء الذى يطهر الأرض مما أزكمها من عفن الماضى ، يزرع فى رحابها قيم الخير والحق ، ويبنى الحياة العادلة الفاضلة .

يقول من قصيدته التى تظمها فى مناسبة الإسراء والمعراج[3] :

---

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر ، أ.د/ صفوت زيد ص ٥٠ ، ٥١ .
٢. ولد فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى السادس عشر من إبريل سنة ١٩١١م ، فى قرية "دقادوس" مركز "ميت غمر" محافظة الدقهلية ، حفظ القرآن الكريم صغيرًا ، ثم التحق بمعهد الزقازيق الابتدائى الأزهرى عام ١٩٢٦م ، وحصل على الابتدائية عام ١٩٣٢م ، ثم حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٦م ، والتحق بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر وتخرج فيها ام ١٩٤١م ، وحصل على إجازة التدريس عام ١٩٤٣م ، ولكنه قدم استقالته عن مهام الوزارة فى ١٩٧٨م ، وانشغل بتسجيل خواطره حول القرآن الكريم ، وله العديد من المؤلفات الدينية النافعة ، كما أن له شعرا جيدا مطبوعا نشر معظمه فى جريدة اللواء الإسلامى فى الستينات ، ونشر بعضه فى مجلة الأزهر . (راجع : هدية مجلة الأزهر المجانية ، جمادى الآخر سنة ١٤١٩هـ) .
٣. هدية مجلة الأزهر ، عدد جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ/ ص ٦٩ ، والأبيات من الكامل التام .

لمـــا رأى رب الخلائـــق أنهـــم ... ضـلوا الطريق أتـى بخير دواء
أهـدى بـك الـدنيا لتصـلح أهلهـا ... يـــا رافـــع الفقـــراء والبؤســـاء
أرسـلت فـى الـدنيا نبيـا صـادقا ... فـأنرت داجيهـا بخيـر ضـياء
بك يـا رسـول الله يـا علم الهدى ... قد أشرقت شمس على الغبراء
قد كـان سيف البغـى سل بهمـة ... لكـــن عـــدلك فـــك كـــل بـــلاء
طهرت أرض الله من أوضارها ... ورفعـت قيمتهـا إلـى الجـوزاء
وطـــدت إيمانـــا بهـــا ومهابـــة ... لله فـــى قلـــب وفـــى أحشـــاء

"من أجل ذلك وجد الضعفاء فى ظلال هذا الحق الذى أهل ، والعدل الذى أقبل أمنًا وسكينة وملادًا يحتمون به من هجير الصحراء ، بعد أن أضناهم ليل الحياة ، وأرهقهم من أمرهم عسرًا .

فقد أنتظروا كثيرًا بزوغ فجر جديد ، على أنواره تتلاقى خطى الحائرين ، وينتهى عذاب المعذبين .

وعندما أشرق ، عانقته قلوب الذين أنهكهم اليأس ، ولم تعبأ بهم ذاكرة التاريخ ، لأنهم كانوا يعيشون على هامش الحياة موتى .. بعد أن جردتهم العبودية عن كل ما يصلهم بعالم البشر"[1] .

وما أكثر الاستعباد فى زمن علا فيه صوت القهر القاهر ، والجبروت العاتى ، ألم يكن بلاب بن رباح ، وصهيب الرومى من ضحايا هذا الاستعباد الفادح ، الذى يعيش الإنسان فى ظلاله عيشة أبه ما تكون بالعدم والفناء ، حيث كان السيد يملك عليه كل شيء ، حتى إنه ليملك عليه حق الحياة والموت .

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر ، أ.د/ صفوت زيد – ص ٤٩ .

لقد ظلت هذه الطائفة المظلومة من البشر تتمرغ فى مستنقع الحياة العطن حتى لمحت بارقة من الأمل بظهور الإسلام ، فطارت بها أيد سراع وأرجل تعانق الإسلام ، وتضمه إلى صدرها المكروب ، واجدة فيه وفى تعاليمه الأمل الحلو والحياة الكريمة التى كانت تداعب خيالها منذ زمن طويل ، وبدأت تعمل من أجل رفع مستوى الحياة تحت لواء الإسلام .

يقول الشاعر "يوسف القرضاوى" مشيرًا إلى جانب من هذه المعانى ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة ليلة القدر[1] :

ربى رجالا مغاوير اهتدوا وغزوا ... إن الرجولة من نور ونيران

أمسى بلالٌ به من ذلة ملكا ... وصار سلمان شيئا غير سلمان

لله فتيان حق لو رأيت فتى ... منهم ترى ملكا فى زى إنسان

وإذا كنا قد أطلنا الحديث فى الكشف عن مظاهر الفساد والتردى فى حياة الأمة العربية قبل الإسلام ، فإن لذلك دلالته وأهميته ، فهو يكشف لنا عن حاجة هذه الأمة إلى روح جديدة ، ودين جديد يجمع شتاتهم ، ويسمو بأرواحهم ، ويرفعهم من حياة التخلف الدينى والسياسى والاجتماعى ، وقد حقق الإسلام لهم كل هذه الغايات ، وكفل لهم السعادة ، ورفع من أقدارهم ، وجعلهم أصحاب رسالة دينية وحضارية بذلوا غاية الجهد فى نشرها ، ودعوة الناس إلى الانتفاع بها واجتلاء أسرارها .

١. ديوان : نفحات ولفحات – ص ٣٩ ، والأبيات من البسيط التام .

ولعل هذا ما يعلل لنا احتشاد الشعراء المعاصرين فى عرض محاسن الإسلام، والإشادة بمزايا التشريع الإسلامى الرفيعة ، التى أعادت بناء الحياة من جديد على أساس من المحبة ، والتسامح ، والعدل ، والمساواة .

"وما ذلك فى الواقع إلا تصوير لما أحدثه الإسلام من ثراء فى عالم الروح .. بعد أن طهرها وزكاها"[1] .

ويحاول الشاعر "عبد الغفار هلال" أن يظهر لنا عظمة البون بين منهج الدعوة الإسلامية فى قيادة الحياة ، ومنهج الأمم السابقة ، فالسابقون كانت دعوتهم قائمة على القهر والجبر والإرغام ، وكان أساس التفاخر بينهم هو الأحساب والأنساب والعنجهيات الفارغة ، أما الإسلام فهو الدين الذى يخاطب الفطرة الإنسانية السليمة ، ويدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويسوى بين الجميع ، ويجعل أساس التفاخر هو التقوى والأعمال الصالحة ، ولأجل هذا تعلقت به القلوب ، وتمسكت به الأرواح .

يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة مولد الرسول ﷺ[2] :

قد كان قبلك للتفاخر سنة ... قامت على الأحساب والأوطار
والظلم كان هناك ديدن فعلهم ... فهدمته وسموت بالإيثار
وأقمت للتقوى العزيزة ركنها ... وجعلتها أمل الحياة الوارى
علمت أمتنا طريق رقيها ... بمبادئ جلت عن الإخبار
أنقذت بالإيمان كل مفكر ... بالدعوة الحسنى وصوت حوار
بلغت دعوتك السنية للورى ... بمحبة وسماحة ووقار

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر ، أ.د/ صفوت زيد – ص ٥٣ .
٢. هذا الضياء – ص ٥٤ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

ورفعت للتوحيد راية مجده خفاقة تعلو يد الأحرار

ولأن دعوة الإسلام قائمة على أساس من المساواة بين البشر جميعًا ، فلا استعباد فيها ولا استذلال ، ولا خضوع إلا الله ، ولأنها فى الأصل دعوة إلى السلم والسلام والأمان فقد استقرت مبادئها فى قلوب البشر ، وأصبحت تمثل بالنسبة لهم نبض الحياة ، وخابت كذلك كل الحملات والمؤامرات التى دبرها لها الأعداء على مر الأزمنة ؛ رغبة فى النيل منها ، وزلزلتها فى القلوب ، وكيف يقدرون على إطفاء نور أراد الله له الذيوع والانتشار!

يقول "يوسف القرضاوى" معبرًا عن هذه المبادئ الإسلامية الرفيعة التى نفخت الروح والحياة فى قلوب قوافل البشر البائسة ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة "المولد النبوى الشريف"[1] :

لأكبر فالناس إخوان سواسية لاذل إلا لمن سواك إنسانا
يقود دعوته فى اليم باخرة تقل من أمها سيبا وشبانا
السلم رايتها ، والله غايتها لم تبغ إلا هدى منه ورضوانا
جرت بركبانها لا الريح زلزلها ولا يد الموج مهما ثار بركانا
وكم أراد العدا إضلالها عبثا وحاولوا خرقها بالعنف أحيانا
واها! أتخرق والرحمن صانعها والله حارسها من كل من خانا
أم هل تضل سفين (بيت إبرتها)[2] وحى من الله يهدى كل حيرانا
أم كيف لا تصل الشطآن باخرة ربانها خير خلق الله إنسانا

١. نفحات ولفحات : ص ٤٢ ، والأبيات من البسيط التام .
٢. بيت إبرتها : البوصلة .

ولما كانت سيرة الرسول ﷺ حافلة بكل معانى الخير، غنية بمعالم الرشد والصلاح متضمنة أفضل منهج من خلال تطبيقه تنصلح الأحوال، وتتطهر القلوب من أضغانها وأحقادها، ويتم التفاهم بين الناس على أساس من التعاون الحميد، فإن صفحات التاريخ قد امتلأت بسطور الثناء والتقدير لهذا الدين الجديد الذى اندحرت أمامه كل الحواجز، وخضع لسلطانه وعدله الملوك وأصحاب التيجان.

يقول الشاعر الدكتور "محمد خفاجى"[1] مشيرًا إلى بعض من جوانب هذه العظمة من قصيدة له نظمها فى مناسبة "المولد النبوى الشريف"[2]:

سيرة ضمخت عبيرا وعطرا ... وثناء جما وحمدا وطهرا
أخذ التاريخ المآثر منها ... وبها اختالت الملائكة فخرا
ولها ذل قيصر والنجاشى ... وعنا المالكون وارتاع كسرى
المساواة والإخاء التزام ... لك، والعدل طاب عينا وقرا

ولعل من محاسن الشريعة الإسلامية الواضحة، أنها تعمل على معالجة أدواء القلوب وأمراضها، وتسمو بالأرواح من وهاد الأرض إلى عالم السماء الفسيح الرحب، حيث تذوب العداوات، ويختفى الحقد، وتنكس رايات التكبر، ويندحر صوت الباطل، ويعلو صوت الحق والإيمان فوق كل ربوات الحياة.

---

١. ولد الشاعر "محمد عبد المنعم خفاجى" فى قرية"تلبانة" من أعمال مركز "المنصورة" فى ٧/٢٢ لعام ١٩١٥م، درس فى الأزهر الشريف معهدا وجامعة، التحق بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام ١٩٣٦م، ثم خرج فيها، والتحق بالدراسات العليا عام ١٩٤٠م، وفى عام ١٩٤٦م عين مدرسا بمعهد أسيوط، ثم نقل إلى معهد الزقازيق عام ١٩٤٧م، ثم نقل إلى كلية اللغة العربية بالقاهرة فى نفس العام، وظل بها حتى وصل إلى درجة أستاذ، سافر إلى كثير من الدول العربية أستاذا، ومشرفا، وزائرا، ومازال حتى الآن يعمل أستاذا متفرغا فى كلية اللغة العربية بالقاهرة. له مؤلفات كثيرة فى الإسلام، وفى التصوف، وفى الأدب، وله دواوين: أشواق الحياة، وأغنيات من عبقر، وأحلام السراب.

٢. ديوان: أحلام السراب – ص ١٢، ١٣ والأبيات من الخفيف التام.

وشريعة الإسلام كذلك ، تعمل على تحرير الفكر من عقاله ، وتطلق الألسنة والأفواه لتعبر عن وجهة نظرها دون ضغوط أو قيود ، أو حجر على الأفكار طالما أنها تخضع لمبادئ الدين الحنيف .

ومن المحاسن الحضارية التى دعت إليها الشريعة الإسلامية – كذلك – أنها نفخت فى النفوس عوامل الصحوة واليقظة بما قدمت لها من نصح وإرشاد ، وبما ألحت عليها بوجوب متابعة سير الحياة والعمل من أجل المشاركة فى بناء المجتمع على ضوء تعاليم الإسلام وإرشاداته الحكيمة .

يقول الشاعر الشيخ "محمود فايد"[1] مبررًا بعضًا من جوانب العظمة فى الشريعة الإسلامية الغراء من قصيدة له نظمها فى مناسبة "الإسراء والمعراج"[2] :

نبى الهدى وافى الأنام بشرعة ... تعالج أدواء القلوب وتجبر
وتطلق أفكار الورى من عقالها ... وتبعثهم من نومهم وتحرر
فناواه من مال للشر طبعه ... وعانده مستكبر متجبر

١. ولد الشاعر "محمود عبد الوهاب مبروك فايد" فى قرية "دمنكة" التابعة لمركز "دسوق" ، بمحافظة كفرالشيخ فى ١٩٢١/١١/٣٠م ، وهو من أسرة عرفت بالعلم والصلاح . التحق بمعهد دسوق الابتدائى عام ١٩٣٣م ، ونال الابتدائية ، ثم التحق بمعهد طنطا الدينى الثانوى ، وفصل وسجن أكثر من مرة لكفاحه ضد الاستعمار ، تخرج فى كلية أصول الدين عام ١٩٤٦م .
ومن مآثره أنه لم ينحن للملك عند مصافحته فى حفل التخرج رغم أنه كان من أوائل دفعته ، وعين فى سوهاج لهذا السبب . له مؤلفات علمية ودينية وتحقيقات كثيرة تشهد له بطول الباع وغزارة العلم ، ظل طيلة حياته مكافحا ثوريا لا يخاف فى الحق لومة لائم حتى مات فى يوم الخميس ١٩٩٧/٦/١٢م .
(انظر فى الترجمة : "رجال ومفكرون عرفتهم" للشيخ/ محمد المجذوب ، جـ١ / ٣٤٩ط الثالثة لدار الاعتصام (بدون تاريخ) .
٢. الاعتصام ، عدد رجب سنة ١٣٨٧هـ - ص ٧ ، والأبيات من بحر الطويل .

والإسلام دعوة تقوم على التفاهم واللين أثناء ممارستها لبناء المجتمع الإنسانى الفاضل ، فلا عنف ولا إراقة دماء بغير ذنب فى الإسلام ، وإنما رحمة واسعة ، وحلم شامل لكل مجالات الحياة .

وما ذلك فى الواقع إلا تجسيد صادق لأثر الإسلام فى الارتقاء بالأرواح ، والسمو بالأخلاق الفاضلة ، وإمدادها بماء الحياة والبقاء حتى آتت أكلها طيبًا نقيًا بإذن ربها .

يقول الشاعر "عبد الغفار هلال" موضحًا منهج الإسلام فى بناء الحياة الكريمة من قصيدة له فى مناسبة "المولد النبوى الشريف"[1] :

أقام بناء للحياة قوامه ... تجاور فكر لا سيوف غوائل
وقرب بين الناس كى يتعارفوا ... على وحدة يزداد فيها التواصل
وفيض من الإيمان صفو فراته ... فيروى عرى الأخلاق والروح ناهل
رسالته تحلو لمن ذاق طعمها ... ولا ينزفن عنها مشوق وآكل

كما أن الشريعة الإسلامية كفلت الأمن والأمان للمستضعفين فى الأرض ، وقررت لهم حق الحياة كغيرهم من الناس ، فعزوا بعد ذل ، وسادوا بعد هوان .

كما أنها وقفت فى وجه الطغاة المتجبرين ، وحطمت كبرياءهم على صخرات الإيمان ، وفكت أغلال الرق والاستعباد ، كما أنها حمت آلافًا من البشر من صروف الكبراء ، وخلصتهم من آلام الماضى ومرارته وغصصه .

---

١. هذا الضياء : ص ٤٤ ، ٤٥ ، والأبيات من الطويل .

فكانت رسالة الرسول ﷺ بذلك رحمة للصغير وللكبير، وسلامًا لكل البشر، وبلسمًا تشفى به أمراض النفوس المجروحة.

يقول "عبد الغفار هلال" من قصيدته فى مناسبة شهر رمضان المعظم[1]:

حملت أمانا للضعيـ ... ـف فعز كالأسد الهصور[2]
أخذت على أيدى الطغا ... ة وحطمت غل الأسير
ومبادئ العدل الرحيـ ... ـمة للصغير وللكبير
كفت صروف الدهر والـ ... ـأواء عن جم غفير[3]
جاءت سلاما للشعو ... ب وبلسم الحب الأثير

وشريعة الإسلام كذلك:

تهدى السعادة والرشاد لعالم ... يشقى بما شرع الهوى ويعذب
فى ظلها يجد السكينة مخبت ... ويبوء مزدجر النوازع مذنب
فهى الجديرة بالتميز مثلما ... يمتاز فى داجى الظلام الكوكب[4]

ومن خلال العرض الذى قدمناه، نجد أن شعراء الأزهر المعاصرين، قد تواردت خواطرهم، وتشابهت أفكارهم حول محور الإشادة بمحاسن الإسلام ومزايا التشريع الإسلامى، وبدا منهم إلحاح صادق على بعث قيم الإسلام ومبادئه العادلة أمام وعى الجمهور المعاصر.

وما ذلك فى الواقع إلا تعبيرًا عن التطلع إلى قيم الإسلام ومبادئه على اعتبار أنها الحل الأمثل، والمنطلق الأوحد الذى لاصلاح للحياة إلا به.

---

١. السابق: ص ٨٠، ٨١، والأبيات من الكامل المجزوء، وعروضها صحيحة وضربها مذال.
٢. الأسد الهصور. القوى الشديد.
٣. اللأواء: ضيق العيش، وشدة المرض.
٤. ديوان "أعاصير وأنسام"، محمد صان الدين – ص ١٥٤، والأبيات من الكامل التام.

وقد جاء هذا التطلع من خلال معاناة حقيقية للواقع المتردى الذى تعيشه الأجيال المعاصرة بعد أن ضاعت معالم الهدى ، وتاهت مسالك الرشاد ، وساد الضلال ، وعلا صوت الباطل ، وفشلت كل المشروعات الحضارية المعروضة على الساحة عن حل المعضلات التى انتهت بالإنسان المعاصر إلى التأزم والقلق على مصيره"[1] .

وعلى أساس من هذه النظرة ، كثرت هتافات شعراء الأزهر المعاصرين ، وتكررت إلحاحاتهم حول فكرة بعث المبادئ الإسلامية ، والتأكيد على وجوب الأخذ بها فى مضمار الحياة حيث لا بديل لها .

ولعل فى قول الشاعر الدكتور "محمد خفاجى" ما يؤكد لنا هذه النظرة ، حيث يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة مولد الرسول ﷺ[2] :

لم يمت بيننا هداك ولن ننشد عنه طول الحياة بديلا
لم تر الدنيا مثل هديك هديا وله لن ترى الحياة مثيلا

وهكذا سخر الشعراء الأزهريون – فى الفترة المعاصرة – المناسبة الدينية تسخيرًا يخدم أغراضهم وأهدافهم التى يرمون إليها ، واستطاعوا من خلالها أن يعبروا عن ظمأ نفوسهم ، وانشغال قلوبهم ببناء الحياة المعاصرة على أساس من مبادئ الشرع الإسلامى الحكيم .

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر: أ.د/ صفوت زيد – ص ٥٧ .
٢. أحلام السراب : ص ١٢ ، والأبيات من الخفيف التام .

ب. استرعاء شخصية الرسول ﷺ :

لعل الشعر العربى على امتداد عصوره لم يحتف بشخصية من الشخصيات قدر احتفائه بشخصية الرسول ﷺ ، ولم تحفل دواوين الشعراء فى مرحلة من المراحل بذكره والإشادة بدوره فى بناء الحياة بقدر ما حفلت به دواوين الشعراء المعاصرين على اختلاف توجهاتهم ونزعاتهم ؛ وما ذلك إلا لأنهم يدركون أن شخصية الرسول ﷺ هى الشخصية التى تتجلى فيها محاسن الإسلام ، وقيم الشريعة الإسلامية بصورة لم يشهد العالم لها مثيلاً فى القديم وفى الحديث على السواء[1] .

ولعل فى عرض هذه المحاسن على الوعى المعاصر ما يكون حافزًا للشباب يدفعهم إلى التقليد والمحاكاة ، ويثير فى نفوسهم الحماس نحو الإقبال على أخلاقيات الرسول ﷺ بهدف الانتفاع بها فى ظل الحياة المعاصرة المتردية[2] .

ونحن عندما ننظر إلى ما قاله الشعراء متصلاً بشخصية الرسول ﷺ ، نجد أنه يدخل تحت ما يسمى بالمدائح النبوية .

ونحن كذلك ، لا نرتاب فى أن غالبية الشعراء فى المرحلة المعاصرة قد صدروا عن حب صادق للرسول ﷺ ، وإعجاب بشخصيته ، لذا فقد وجدناهم دائمًا يقدمون له لحن الولاء والحب من خلال ما نظموه من شعر فى المناسبات الدينية المختلفة ، مما أدى إلى اتساع نطاق المدح النبوى ، وتشعب طرقه ومسالكه ، بما أتيح للشعراء

١. راجع : صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ٦٨ .
٢. راجع : العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث – ص ٢٩٨ .

– ولا سيما شعراء الأزهر – من فهم عميق لرسالة الإسلام ، وإيمان عميق منهم بقدرتها على إصلاح الحياة ، وتقويم ما أعوج منها .

ومن هنا ، أخذ شعراء الأزهر يفيضون عليه ﷺ بالثناء الجميل ، ويبرزون دوره الجهادى من أجل نصرة الدين ، ورفع أعلامه ، كما أنهم صوروا ما اعترض طريقه من صعوبات وأهوال كتب له الغلبة عليها .

كما أنهم صوروا ملامح العظمة فى حياته ﷺ ، مشيدين بالأسس العادلة التى أقام عليها بناء دولة الإسلام .

وبين أيدينا من أشعار الفترة المعاصرة كثير من قصائد المناسبات الدينية التى نظمها شعراء الأزهر على امتداد المرحلة ، وقد استقرأنا تلك القصائد ، ونفضناها نفض الذكى الأريب ، واستخرجنا منها ما يتصل بشخصية النبى ﷺ محمد اتصالاً مباشرًا حتى يسير على هديه كل من طلب طريق النجاة والخلاص من مخاطر الحياة المعاصرة .

ويأتى الشاعر "حسن جاد" مستهلاً الحديث فى هذا المقام بالإشادة بطيب أصل الرسول ﷺ وطهارة منبته ، وأنه أخذ يتنقل فى أصلاب الأنبياء من لون آدم عليه السلام حتى حل فى صلب والده عبد الله ، وأنه لم يكن خلال هذه الرحلة الطويلة بشرًا مجسمًا ، وإنما كان نورًا يتلألأ ، وضياء يفوح أريجه عطرًا ذكيًا .

يقول من قصيدته فى "مناسبة مولد الرسول ﷺ" [1] :

سر حوته من السماء سريرة نشوى بأنوار النبوة تفهق

١. مجلة الأزهر : المجلد الثالث العشرون سنة ١٩٥١م – ص ٣٣٠ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

ينساب في الأصلاب وهي مجامر ... طيبا يفوح به الزمان ويعبق[1]

وما كادت الدنيا ميلاد النبى ﷺ حتى تغير حالها ، وبان ضعفها ، وامتلأ كون الله بالإرهاصات[2] الشاهدة لهذا المولود بالكرامة ، والدالة على أنه سوف تكون له يومًا قوة يقهر بها الباطل المتغطرس ، ويرسى قواعد الحق رغم أنوف الطغاة المتجبرين .يقول "عبد الغفار هلال" مشيرًا إلى هذا الإنقلاب الذى نزل بالعالم من قصيدته "لحظة الميلاد المحمدى"[3] :

وغيص له ماء بساوة زاخر ... وقد عجبوا في أمرها وتساءلوا
ونارا تلظى يعبد الفرس جمرها ... تشب لها من ألف عام مراجل
أتى يوم ميلاد النبى فأخمدت ... له نار كسرى واستشاط العواهل[4]
تصدع إيوان لكسرى وقد هوت ... به شرفات حطمتها الزلازل[5]
وأهلوه في هول أطال ذهولهم ... وأمطرهم بالهم والغم وابل
وروع قصر الموبقات مفزعا ... إذا ساءت الأعمال تهوى المنازل

وكانت مكة فى ذلك الوقت ، تموج بالفساد والضلال ، وكان شبابها فى حالة شديدة من اللهو والانحراف والعبث ، والشباب ذريعة الإغواء ، أما محمد ﷺ فقد ظهرت عليه بوادر الخير ، وشيمت فيه صفات الكمال والجلال ، فقد ارتضع لبان الحكمة ، وترعرع فى كنف الرسالة ، وأعده الله بيده ليحمل شرف النبوة ، فكان قلبه دائمًا مشغولاً بربه ليس فيه موضع للشيطان ، أو محل لنزوات النفس .

---

١. المجامر : جمع : مجمر ، ومجمرة ، وهى أداة يحرق فيها البخور مع الجمر .
٢. الإرهاص شرعًا : الأمر الخارق للعادة الذى يظهر للنبى قبل بعثته .
٣. هذا الضياء – ص ٤١ ، ٤٢ ، والأبيات من بحر الطويل .
٤. العواهل : جمع : عاهل ، وهو الملك الأعظم ، أو الإمبراطور" (الوجيز سنة ١٩٩٠م / ص ٤٣٩) .
٥. هوى من القصر أربع عشرة شرفة . (هذا الضياء ، هامش ص ٤١) .

لقد كان صاحب منهج فريد فى الحياة ، مما أخذ بيده بعيدًا عن متاهات الانحراف ، فلم يعرف عنه أنه شارك شباب مكة فى لهو أو عبث أو فساد ، وإنما اشتهر بصدقه ، وأمانته ، وسمو أخلاقه ، فى زمن ضاعت فيه معالم الأخلاق .

يقول "الشعراوى" كاشفًا عن هذا الجانب من حياته ﷺ ، من قصيدته الباكورة التى نظمها فى مناسبة الإسراء والمعراج[1] :

فى مهده الإيمان كان خليله ... وكذا الشباب ذريعة الإغواء
ظهرت بوادره أمين عشيرة ... كانت تضن به على الأمناء
ماضى العزيمة حرفة وديانة ... ساس الرعايا بعد رعى الشاء

ويقول الشاعر الدكتور "أحمد عمر هاشم" [2] مشيرًا أيضًا إلى ذلك من قصيدته فى مناسبة المولد النبوى [3] :

عاش ابن عبد الله أطهر عيشة ... فى ألفة ، ومحبة ، وسداد
وحصافة ، وفصاحة ، وطهارة ... وسماحة ، وكرامة ، ورشاد

وقد حبب الله إلى محمد ﷺ الخلوة ، والابتعاد عن صخب الحياة وضجيجها ، فرفض عبادة الأصنام ، ونأى عن الفواحش ، والتزم مكارم الأخلاق ، وكان يداوم التفكير – أثناء خلوته – فى ملكوت الله الواسع ، ولم يزل محمد ﷺ يفكر ، ويتدبر ، ويرقى فى التقرب إلى الله ، حتى تجلى الله عليه بأول مراتب الوحى ، وهى الرؤيا

---

١. هدية مجلة الأزهر ، جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ - ص ٧٠ ، والأبيات من الكامل التام .
٢. ولد الشاعر أحمد عمر هاشم عام ١٩٤١م بالشرقية ، وتعلم فى الأزهر الشريف معهدا وجامعة درس فى كلية أصول الدين بالقاهرة ، وحصل على الإجازة العالية عام ١٩٦٧م ، وحصل على الماجستير فى الحديث وعلومه عام ١٩٦٩م كما حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢م ، وتقلب فى الدرجات المختلفة فى وظيفته حتى عين رئيسا لجامعة الأزهر عام ١٩٩٥م ، وما زال يشغل هذا المنصب حتى الآن (٢٠٠٠ – ٢٠٠١م) ، وله فى مجال الشعر ديوان "نسمات إيمانية" صدر عن دار الشعب سنة ١٩٩٠م ، وله أعمال أخرى . (ينظر : موسوعة أعلام مصر فى القرن العشرين ، ط١ / ٢٣٥ ، سنة ١٩٩٦م) .
٣. ديوان "نسمات إيمانية" / ص ٢٢ ، والأبيات من الكامل التام .

الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلك الصبح ، وفى سن الأربعين ، أكرمه الله برسالته ، حيث نزل عليه جبريل ﷺ بأول آيات من القرآن الكريم ، وذلك فى يوم الأثنين السابع عشر من رمضان الموافق السادس من أغسطس عام ٦١٠م .

ومن هذا اليوم حمل الرسول ﷺ عبء تبليغ الدعوة إلى الناس ، والأخذ بأيديهم إلى طريق النور والهداية .

يقول الشاعر "أحمد عمر هاشم" مصورًا تلك اللحظات الحاسمة فى حياة الرسول ﷺ من قصيدته فى مناسبة المولد النبوى الشريف[1] :

حتى هفت للغار نفس محمد ... فخلا به فى ساعة الميعاد
وإذا به يرنو بطرف تشوف ... نحو السماء ، وإذا بصوت منادى
أمحمد ، أنت الرسول المجتبى ... يا خير مبعوث لخير عباد
قم فادع للتوحيد قومك قل لهم ... لا تجعلوا لله من أنداد

وأخذ الرسول ﷺ منذ هذه اللحظة يدعو الناس إلى الدين الإسلامى الجديد غير خائف ولا متوان ، فوقف فى طريقه كبار القوم وزعماؤهم ، متصدين للدعوة راغبين فى القضاء عليها ، ولما تفاقم الأمر ، وعجزوا عن إيقاف تيار الدعوة الإسلامية ذهبوا إلى عمه أبى طالب ليرد ابن أخيه عن دعوته ، فلم يزده ﷺ هذا العناد إلا تصميمًا ، وصمودًا على الطريق ، وباءت محاولات قريش كلها بالفشل الزريع .

ومن هذا الوقت ، اشتد الأذى ، واشتدت المقاومة من الناحيتين ، وكثرت النزاعات والخلافات .

---

١. ديوان "نسمات إيمانية" / ص ٢٢ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

يقول الشاعر "الشحات أبو ستيت"[1] مصورًا جهاد الرسول ﷺ ضد المشركين وما وضعوه فى طريقه من عقبات ، من قصيدته فى مناسبة مولد الرسول ﷺ[2] :

لما أتاك أمين الوحى مبتدأ ... اقرأ كتاب الهدى من وحى رحمان

نهضت للدعوة الكبرى لتنشرها ... بين الورى غير هياب ولا وان

هاج الصناديد لما قمت تنذرهم ... وقاوموك سيل بل بطوفان

وساوموك على ترك البلاغ بما ... يغرى الخلائق من مال وتيجان

فقلت : لن أترك التبليغ لو ... شمسا بكفى وبدرا كفى الثانى وضعوا

فألجؤك لشعب لا حياة به ... وحاصروك بأسياف ونيران

فكنت كالطود لا تلويه عاتية ... ولا يلين لغارات وعدوان

وفى العام العاشر من البعثة الشريفة ، وبعد أن خرج المسلمون من محنة المقاطعة ورجعوا إلى ديارهم آمنين ، فقد الرسول ﷺ عمه أبا طالب ، وزوجة السيدة خديجة ، وقد كانا له السند والظهير ، وفر الرسول ﷺ أمام اضطهاد قومه وشؤمهم إلى الطائف يلتمس هناك مكانًا خصبًا لإنبات الدعوة الإسلامية فيه ولكنه وجدهم أغلظ قولاً ، واشد عداء ، وأخس طبيعة من بنى قومه ، فقد حرضوا عليه سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى سالت منه دماء كريمة ، سوف تظل شاهدة على لؤمهم إلى يوم الدين .

---

١. ولد الشاعر "الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت" فى قرية "طحانوب" مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية ، فى ١٩٧٤/٤/٢٤م ، تعلم فى الأزهر الشريف معهدا وجامعة ، التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة وتخرج فيها عام ١٩٧٢م ، واصل دراسته بها حتى حصل على الماجستير فى البلاغة والنقد عام ١٩٧٩م ، ثم حصل على الدكتوراه عام ١٩٨٤م ، عين مدرسا مساعدا فى كلية اللغة العربية بدمنهور عام ١٩٨٢م ، وحصل على أستاذية عام ١٩٩٣م ، ويعمل أستاذا للبلاغة والنقد ووكيلا لكلية اللغة العربية بإيتاى البارود ، وهو الآن معار إلى دولة المملكة العربية السعودية . وشعره شعر جيد مطبوع ، ولم يطبع فى ديوان حتى الآن ، وبعضه منشور فى حوليات كلية اللغة العربية بدمنهور .

٢. مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور : العدد الثانى سنة ١٩٨٤م – ص ١٩٢ .

ورغم ذلك ، فإن ضياء الأمل لم ينطفئ فى قلب الرسول ﷺ وعزيمته لم تضعف ، وإنما بدأ يعد العدة لعرض نفسه على القبائل ... وهى فى حالة إعراض شديد عنه ، مما جعل الرسول يحس أن الأرض قد ضاقت به ، وأن الألم يفترسه ويقتله ، وكان لابد للعناية الإلهية أن تتدخل ، ولابد للضيق أن ينفرج ، فكانت رحلة الإسراء والمعراج دعوة كريمة من الله لرسوله الكريم ؛ ليحظى عند مولاة بالتكريم والإجلال وليعوضه عن جفاء الأرض بحفاوة السماء ، وليمسح عنه غبار الأيام ، ويعده من جديد لرحلة كفاح جديدة .

يقول الشاعر "محمود فايد" مشيرًا إلى هذه المعانى من قصيدته التى نظمها فى مناسبة الإسراج والمعراج[1] .

تمادى حماة الشرك فى غلوائهم ... وآذوا رسول الله وهو يذكر
فضاقت عليه الأرض وهى رحيبة ... وبات حزينا قلبه يتفطر
فنادت سماء الله لا تأس إننى ... أحنُّ إلى لقياك والشوق يغمر
إذا الأرض ضاقت بالرسول فحسبه ... مكان منيف فى السما متخير
تلقى الرسول دعوة يرتقى بها ... ويحظى بتكريم الإله ويظفر
فحلت لديه بعثة لاصطحابه ... من الملأ الأعلى رعته وتخفر
عجائب من آيات ربى عظيمة ... عقول الورى فى سرها تتحير
يراها رسول الله مشرقة له ... فيزداد إشراقا فؤاد مطهر
وتتسع الدنيا له بعد ضيقها ... ويسرى بجنح الليل لا يتعثر

١. الاعتصام : عدد رجب سنة ١٣٨٧هـ - ص ٧ ، والأبيات من بحر الطويل .

وعاد الرسول ﷺ من رحلته المباركة ، بعد أن رأى من آيات ربه الكبرى ، ولما قص على المشركين ما وقع له مازادهم ذلك إلا عتوا واستكبارًا وإعراضًا عن الحق .

يقول الشاعر "الشحات أبو ستيت"[1] :

وعدت تروى لأهل الحى معجزة ... تصغى الجوارح فى شوق لراويها

صاح الطغاة وقالوا : هل به مرض ... لقد أصيب ببلوى ما يداريها

وازدادت موجات الهجوم على الرسول ﷺ وأصحابه من جانب الكفرة الطغاة، حتى أصبح الحال لا يحتمل الصبر!

إن البلاء يطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف كان غير مطاق[2]

لذا أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة المنورة ، ومعه أبو بكر الصيق ؛ حماية للدعوة الإسلامية النامية ، وإفلاتًا من هذا الجو الضبابى المعتم الذى تعيشه الدعوة فى مكة ، وتطايرت الأخبار إلى قريش لتخبرهم بخبر الهجرة ، فحشدت قريش أبطال شبابها ، وأوقفتهم أمام باب الرسول ﷺ للفتك به ، ولكن الله خيب مكرهم ، وأبطل تدبيرهم حيث أخذ النور من عيونهم حتى خرج ﷺ من بينهم سالمًا وهم لا يشعرون .

يقول الشاعر "على العمارى" مصورًا التأييد الإلهى للرسول ﷺ وصاحبه أبى بكر الصديق من قصيدته فى مناسبة الهجرة[3] :

---

١. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر ، ولدى صورة منها بخطه وتوقيعه ، والأبيات من البسيط التام .

٢. البيت لابن الرومى ، وانظره فى : مختارات البارودى ، الجزء الرابع – ٢٤٤ ، مطبعة الجريدة بسراى البارودى ، شارع غيط العدة بمصر ، سنة ١٣٢٩هـ .

٣. مجلة الأزهـــر : المجلد الرابع عشر سنة ١٣٦٢هـ - ص ٩٥ ، والأبيات من الكامل التام .

مكرت قريش بالنبى وصحبه ... ماذا وحقك بالنبى أرادوا ؟
أو يطفئون النور وهو سراجهم ... ضلوا عن الحق المبين وحادوا
الكون ينتظر السلام فمالهم ... نصبوا الحبائل دونه وأجادوا
والله ليس بخاذل أنصاره ... فإذا لهيب الماكرين رماد

وسار ركب الهادى فى أودية الصحراء الموحشة ، مواصلاً الليل بالنهار ، يطلب الأمان ، وهو يحمل فى قلبه نورًا وأمانًا لكل البشر ، وقد تفرقت جنود الكفر الحاقدة تطلبه فى كل السهول والوديان ، وفى كل المسالك والفجاج ، وكل هدفهم إطفاء نور الله ، وإغلاق باب الرحمة المطلة على الحياة ، ولكن بعدًا للقوم الظالمين ، وهيهات أن ينال الغدر موصولاً بأسباب السماء مؤيدًا .

يقول الشاعر "محمد صان الدين" مشيرًا إلى ذلك من قصيدته التى نظمها فى مناسبة الهجرة الشريفة[1] :

فى وحشة البيداء يسرى حاملا ... فى قلبه للناس مصباح الهدى
والشر يرصده بأعين حاقد ... ويبث فى كل المسالك مرصدا
ليظل باب الرحمة المهداة من ... رب الوجود إلى الخلائق موصدا
لكن محال أن ينال الشر ... ولا بأسباب السماء مؤيدا
موصد

ويصور الشعراء الأزهريون فى الفترة المعاصرة وصول النبى إلى المدينة ، واستقبال أهلها له استقبالاً هز أرجاءها ، حيث سارعوا إلى إكرامه والحفاوة به من أعماق قلوبهم .

١. أعاصير وأنسام : ص ١٤٤ ، بحر الكامل التام .

وكان أول عمل قام به ﷺ فى المدينة : هو "بناء المسجد" ، ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبذلك "قضى على العصبية القديمة ، والحمية المتوارثة ، وأحل محلها عواطف المواساة والمؤانسة ..

وكانت عواطف الإيثار تمتزج فى هذه الإخوة الإسلامية ، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال .. إذ كان الأنصار يتنافسون فيما بينهم على نزول المهاجرين ، وكانت القرعة علاجًا للتزاحم"[1] .

وفى ذلك بث للحماس فى قلوب المعاصرين ؛ ليأخذوا بهذه الأخلاق النبوية التى تضمن لهم بناء الحياة بطريقة مثلى لا ميل فيها ولا اعوجاج .

وبذلك كانت حكومة المدينة المنورة هى الأساس القويم للحكم الإسلامى المثالى الصالح الذى يعد خير النظم التى عرفتها البشرية فى كل تاريخها الطويل .

يقول الشاعر الشيخ "محمد متولى الشعراوى" مشيرًا إلأى هذه المعانى من قصيدته فى مناسبة الإسراء والمعراج [2] :

ورأى النبى ببطن (يثرب) أمة ... خرجت إليه بخيرة النصراء
قالوا له ولصحبه : يا مرحبا ... أهلاً بكم يا بلسم الأدواء
قد أكرموه باتباع شريعة ... وقروه فيهم أيما إقراء
قد كانت الأنصار خدن مهاجر ... شركاء فى السراء والضراء
بسطو على الأقوام راية دينة ... واستعذبوا خطرا بلاغلواء[3]

١. من وحى الهجرة : على فهمى طمان (المحامى) / ص ٢٢ ، ٢٣ .
٢. هدية من مجلة الأزهر : عدد جمادى الأخرة سنة ١٤١٩هـ - ص ٧٣ ، والأبيات من الكامل التام .
٣. الغلواء : المبالغة فى التكبر .

هذا ، ولم تكن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة هروبًا ، ولا جبنًا ، ولا ضعفًا أمام مواجهة المواقف الصعبة ، وإنما كانت تهدف فى الأصل إلى حماية الدعوة من غوائل الظلم والطغيان ، ثم الانطلاق بها إلى رحاب واسعة ، وأماكن نائية من أجل نشر بذور الإسلام ، ومحاولة استنباته فى أودية جديدة لم تألف سوى حياة الضلال والفساد والفوضى .

فالهجرة الشريف أعطت للدعوة الإسلامية من القوة والانطلاق ما لم يتحقق لها من قبل ، كما أنها كانت سببًا فى تغيير مسارها ودفعها للأمام .

يقول الشاعر "محمد صان الدين" مشيرًا إلى هذا الانفتاح الذى حققته هجرة الرسول ﷺ ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة الهجرة[1] :

ما هجرة تبغى المتاع كهجرة ... فى الله غيرت المسار الأنكدا
أعظم بها من هجرة قد أطلقت ... فى الأرض نورا كان قبل مقيدا
فسرى حثيثا فى شعاب الدهركى ... يهب الحاة نضارة وتوردا
يا هجرة المختار إنك مرفأ[2] ... والهول أرغى فى الحياة وأزبدا
ذكراك للإنسان أورف واحة ... والعيش مع لفح الهجير توقدا
يا حادثا فى الدهر رق معينه ... مازلت للقيم الرفيعة موردا

وفى جانب آخر من شعر المناسبات الدينية لدى شعراء الأزهر المعاصرين ، وجدنا اهتمامًا كبيرًا ، واحتفاءً هائلاً بذكر الشمائل المحمدية ، واستعراضها بصورة مسهبة .

١. أعاصير وأتسام : ص ١٤٣ وما بعدها ، والأبيات من بعد الكامل التام .
٢. المرفأ : مرسى السفينة ، والمراد : أنها تريح النفوس .

وكان من أبرز تلك الشمائل والأخلاق : حكمته ﷺ ، ورقته ، ولينه فى دعوة الناس إلى الله ، وتنزهه عن العنف والتسلط ، وقد هيأ له ذلك أن يربط بين قلوب الناس برباط من المحبة والتآخى ، وأن ينشر الأمن والسلام على بقاع كثيرة قد أرهقها ليل الظلم والشر والعسف ، وبذلك دانت له الدنيا دانيها وقاصيها .

يقول شاعرنا "صان الدين" مشيدا بتلك الشمائل العالية من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف[1] :

فذللت الجموع بغير سوط ... وألفت القلوب على القلوب
وأسبغت السلام على بقاع ... هوت فى وهدة الشر الرهيب

ويذكر الشاعر "على العمارى" أن من أخلاق النبى ﷺ أنه كان يلين ويسلس حتى يكون مثل الماء الجارى ، وكان يقسو ويعنف حتى يصير سيفًا صارمًا حين تضطره الظروف إلى ذلك .

وكان ﷺ يستمع إلى شكاية المظلوم ، ويعمل على رفع الظلم عنه ، حتى ولو لم يكن مسلمًا ، وكان يقف فى وجه الظلم والظالمين ، ويرد اعتداءهم .

واستعمال اللين حينا ، والشدة حينًا آخر ، خطة حكيمة تحتاج إلى مهارة عالية أثناء التنفيذ على أرض الواقع ، وقد كان ﷺ أمهر الناس فى هذه الناحية بلا منازع .

يقول الشاعر من قصيدته "خواطر الذكرى" التى نظمها فى مناسبة المولد النبوى الشريف مشيدًا بهذه الشمائل المحمدية الفاضلة[2] :

---

١. أعاصير وأتسام : ص ١٣١، والأبيات من بحر الوافر التام .
٢. مجلة الأزهر : المجلد الرابع عشر سنة ١٣٦٢هـ / ص ١٨٧ ، والأبيات من الكامل التام .

قد لان حتى ظن ماء سلسلا ... وقسا فظن السيف فى الهيجاء
يصغى إلى المظلوم حتى إنه ... ليخال فيه رأفة الآباء
ويرد سيف الظالمين محطما ... فتراهم فى شقوة وعناء
اللين آنات ، وآنا شدة ... تلكم – لعمرى – خطة الحكماء

ويلفت الشاعر "عبد الغفار هلال" أنظارنا إلى فضل الرسول ﷺ على الأمة الإسلامية ، حيث جاءهم بكتاب سماوى ، ودستور خالد يحمل بين دفتيه قيم الخير والعدل والمساواة ، وسار يبنى به الحياة ، ويرفع به من شأنها حتى استقامت على طريق الهدى والرشاد .

يقول من قصيدة له بعنوان "وقفت أحييك" نظمها فى مناسبة المولد النبوى الشريف[1] :

حملت كتاب الله دستور أمة ... هى الأمة الوسطى ودون منازع
كتابك قرآن الحياة الذى به ... تنجيهم بالمحكمات الجوامع
رسمت لهم كيف الحضارة ... وكيف يكون المجد سلم طالع
والعلا

وكان من ملامح العظمة المحمدية التى أشاد بها شعراء الأزهر المعاصرون خلال منظوماتهم فى المناسبات الدينية المختلفة : عفوه ﷺ عمن ظلمه حال القدرة عليه ، وكان من أبرز النماذج التى ساقها الشعراء فى هذا الجانب : عفوه ﷺ عن أهل مكة عندما أظهره الله عليهم ، وعاد إليها فاتحًا كالبدر الساطع بين الجموع المحتشدة المهللة المكبرة ، ضاربًا بذلك أروع الأمثلة فى العفو والتسامح والرحمة ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[2]

١. هذا الضياء : ص ٤٧ ، والأبيات من بحر الطويل .
٢. سورة الأنبياء : الآية رقم ١٠٧ .

يقول الشاعر "محمد صان الدين" راسمًا لنا هذه اللوحة بصورة فنية جميلة[1]:

وغدت مقاليد الأمور بكف من ... هجر الحمى بدم مباح مهدر
ماذا تراه اليوم يفعل فى الألى ... نبذوه فى الصحراء نبذ المنكر
أيقطع الأعناق أم يبقى على ... يها فى المهانة والعذاب الأكبر
أيصادر الأموال حتى يغتدى ... أربابها فى حيرة وتحسر
كلا ومرسله سراجا رحمة ... للعالمين على هدى وتبصر
بل رحمة وتسامح وتخشع ... لله ليس به غرور مظفر
ذاك الذى ملك المشاعر والذى ... جعل القلوب تلين بعد تحجر

وبهذا الأسلوب النبوى الملتزم بقانون السماء ساد المسلمون ، وانتصروا على صروح الظلم والهمجية ، وأبادوها ، واجتثوا جذورها من فوق الأرض ، واستطاع الرسول ﷺ فى مدة قليلة من الزمن ، أن يبنى مجد أمة كانت مرهوبة الجناب ، محترمة المقام .

لكن عندما كر الزمن ، وأسرعت الأيام ، ونسى المسلمون ماضيهم المجيد ، دهتهم الدواهى ، وداستهم الأيام بحوافرها المؤلمة ، وتأخروا وتقهقروا ، وما ذلك إلا لأنهم تخلوا عن المنهج الربانى والدستور الإلهى الذى فيه السعادة والضمان لحل كل مشكلات الحياة .

لذا يتساءل الشاعر "محمد خفاجى" بلهفة شديدة عن مجد الماضى .. أين هو اليوم ؟

ثم لا يجد الشاعر سبيلاً إلى ذلك الماضى إلا العمل تحت جناح الله تعالى ، فينصح الأمة الإسلامية بذلك .

---

١. أعاصير وأنسام : ص ١٦٥ ، والأبيات من الكامل التام .

يقول من قصيدة له نظمها فى مولد الرسول ﷺ [1] :

أين منا ذاك الفخار وأمس ... خالد ، هذا ظله الممدود
أين ماض لنا وراء المغانى ... مشرق الأفق ؟ أين تلك العهود ؟
قد مللنا القعود ، فاليوم لارا ... حة ، واليوم لاونى لا قعود
فاعملى أمة الرسالة وابنى ... فلك الأمر والغد المنشود
معك الله ومن يكن معه الله ... له النصر دائما والخلود

ولكم تغنى شعراء الأزهر المعاصرون بحب الرسول ﷺ ، وإظهار خالص الولاء له ، ذلك لأنهم يوقنون تمامًا أنه هو الماء الذى تحيا به الأرض ، وهو المنقذ الذى خلص الدنيا من ظلم الماضى ، وهو الكفيل بتخليصها من آلام الحاضر إن هى التزمت بطريقته وسارت على منهجه فى الحياة .

يقول الشاعر "رمضان البدوى"[2] مصورًا حبه العميق للرسول ﷺ ، وسريان هذا الحب فى خلايا جسده ، وامتزاجه بدماه ، وجريانه مع أنفاسه من قصيدة له نظمها فى مناسبة المولد النبوى الشريف[3] :

إنى أحبك من رأسى إلى قدمى ... وأعيش بالحب حتى يوم تأبينى
إنى أحبك والرحمن يسمعنى ... وأحب من أجل حبك كل مسكين
ولكم رجوت إله العرش فى وجل ... إذا أتى الحشر يوما منك يدنينى
لأعيش فى رفقة فيهم محمدنا ... فى جنة الخلد فى ظل البساتين

---

١. أحلام السراب : ص ١٤ ، والأبيات من الخفيف التام .
٢. ولد الشاعر "رمضان محمد عبد الغفار البدوى" فى السابع والعشرين من يناير لعام ١٩٦٧م فى قرية "الشنباب" ، مركز البدرشين ، محافظة الجيزة . تعلم فى الأزهر الشريف معهدا وجامعة ، وتخرج فى كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٠م ، وواصل الدراسة حتى حصل على الماجستير فى البلاغة والنقد من الكلية نفسها عام ١٩٩٦م ، كما حصل على الدكتوراه عام ٢٠٠٠م ويعمل الآن مدرسا فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق وله شعر كثير تغلب عليه النزعة الدينية ، ولم يطبع فى ديوان .
٣. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر ، ولدى نسخة منها بخطه وتوقيعه ، والأبيات من بحر البسيط التام .

يا سيد الكون إنى فى مودتكم أحيا على الحب إن الحب يحيينى
إنى رجوت وفى الرحمن لى أمل إذا أتى الحشر من كفيه يسقينى

ويفصح الشاعر "محمد خفاجى" عن هذا الحب الهادر، ويكشف عن هذا الهيام الجارف الذى انفجرت ينابيعه فى قلبه، ونبضت به عروقه، ويبين أن حب الرسول ﷺ يكفيه علوًا فى المكانة، وارتفاعًا فى الشأن حتى لو كان لا يملك من دنياه شيئًا. يقول من قصيدته التى نظمها فى مناسبة الإسراء والمعراج[1]:

فى ضمير الزمان حبك باق وفؤادى به الغنى التقى
أنت أنت الهوى وأنت الأمانى وأنا بالهوى السعيد الشقى
لى بالهوى والحب كل شيء إن يكن ليس لى من الدهر شيء
ليس لى عاصم سوى الحب وإخلاصى والهوى يا نبى عذريا

ومن خلال ما قدمناه فى هذا المحور، نجد أن شعراء الأزهر المعاصرين قد صدروا جميعهم عن عاطفة صادقة مؤمنة بما هتفت به من الإشادة بعظمة الرسول ﷺ وتصوير ملامح تلك العظمة فى حياته الشريفة، وهم إن لم يتساووا فى الناحية التعبيرية والفنية، فإنه يكفيهم ما حققوه من أهداف نبيلة، وغايات شريفة، ومقاصد حسنة، وهو ما يعطى فإنه يكفيهم ما حققوه من أهداف نبيلة، وغايات شريفة، ومقاصد حسنة، وهو ما يعطى للمناسبة قدرها؛ لأنها هى التى ألقت بشرارة الإبداع فى قلوب الشعراء، وجعلتهم يهتفون بما هتفوا به فى كل مقام.

١. أحلام السراب: ص ١١، والأبيات من بحر الخفيف التام.

ويكفى هؤلاء أنهم استطاعوا أن يعيدوا إلى الأذهان هذه الصورة المحمدية المشرقة فى جلالها وعظمتها ، لعلها تأخذ بأيدى التائهين إلى شاطئ الهدى والأمان .

ج. استدعاء شخصيات الصحابة ﷺ :

استدعاء شخصيات الصحابة ﷺ ، يعد من المحاور الهامة التى برزت فى شعر المناسبات الدينية المعاصر.

والحق أن استدعاء شخصيات الماضى ليس أمرًا جديدًا على شعرنا العربى المعاصر، فقد تنبه شعراؤنا منذ عصر النهضة إلى أن شعرنا العربى لن يستطيع أن يثبت وجوده ، ويحقق أصالته إلا إذا قويت الصلة بينه وبين تراثه وماضيه ؛ لأن الارتباط بذلك الماضى يمنحه القدرة على البقاء والخلود ، أما الانفصام عنه فهو حكم على ذلك الشعر بالضعف والهزال ثم الموت .

ولقد كانت شخصيات التراث هى هذه الأصوات التى استطاع (الشاعر) من خلالها أن يعبر عن كل أتراحه وأفراحه ، وأن يبكى هزيمته أحر البكاء وأصدقه وأفجعه ، وأن يتجاوزها فى نفس الوقت ... وأن يستشرف النصر، ويرهص به فى أفق لم تكن تلوح فيه بارقة نصر... ومن ثم فقد عقد شعراؤنا أواصر صلة بالغة العمق والثراء بشخصيات هذا التراث"[1] .

والحق : أن الشاعر الذى يستطيع أن يوظف الشخصية التراثية توظيفًا صحيحًا "يكون قد أضفى على تجربته الشعرية نوعًا من الأصالة الفنية عن طريق إكسابها هذا البعد التاريخى الحضارى ، وأكسبها فى نفس الوقت لونًا من الكلية

١. استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر : د. على عشرى زايد – ص ٨٧ ، ط دار الفكر العربى.

والشمول بحيث تتخطى حاجز الزمن فيمتزج فى إطارها الماضى والحاضر فى وحدة شاملة"[1] .

ولعل السبب فى اتجاه الشعراء المعاصرين عمومًا إلى استخدام الشخصيات التراثية يرجع إلى : الظروف السياسية والاجتماعية الخانقة التى مرت بها أمتنا العربية ، والتى جعلت الشعراء يستترون وراء هذه الشخصيات خوفًا من بطش السلطة ، إلى جانب ما يحققه هذا الاستخدام من غنى فنى [2] .

ويرى أستاذنا الدكتور صفوت زيد أن أن ذلك يرجع إلى : افتقاد النموذج العالى الممثل لقيم الإسلام فى الحياة المعاصرة ، فكان استدعاء شخصيات الصحابة خاصة تعبيرًا عن شوق شديد ، ورغبة عارمة فى تحقيق الحلم الإنسانى فى الخلاص من عوائق الحياة ، بعد أن فشلت كل المشاريع البشرية فى الأخذ بين الإنسان ، وإنقاذه من مهاوى السقوط والتردى[3] .

فكان استحضار هذه الشخصيات أمام وعى الإنسان المعاصر بكل عطائها فى خدمة الحياة وسيلة إلى إيقاظ الهمم ، وسبيلا إلى استلهام أدائها الفذ الذى صنعت به مجد الحياة [4].

وعلى هذا الأساس فقد تعرفنا – من خلال ما قرأناه من شعر فى المناسبات الدينية المختلفة عند شعراء الأزهر فى الفترة المعاصرة – على كوكبة نورانية من

---

١. نفس المصدر السابق : ص ١٦ .
٢. راجع : المصدر السابق – ص ٣٤ .
٣. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ٨١ .
٤. نفس المصدر السابق والصفحة .

الصحابة الكرام ، الذين يمثلون الانطلاقة الراشدة إلى بناء الحياة على هدى من المنهج الإسلامى الرشيد ، معمر بن الخطاب ، وأبى بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، وبلال بن رباح ، وأسماء بنت أبى بكر ، وغيرهم ممن يمثلون الصورة الناصعة الصافية للإسلام .

فالصحابة ﷺ هم الذين عاصروا الرسول ﷺ وعاشروه ، واتخذوا من هديه ﷺ أداة يحققون بها أمانى النفوس ، ويبنون بها مجد الحياة على أسس راشدة لا تضل ولا تزيغ ، ولم يتوان هؤلاء الصحابة فى إيصال الدعوة الإسلامية إلى الناس فى كل مكان ، حتى مكن الله لهم فى الأرض ، وفتحوا البلاد ، وسادوا العباد ، وأقاموا رايات الحق والعدل فوق كل الربوع ، فكانوا بحق رهبانًا بالليل فرسانًا بالنهار .

يقول الشاعر "يوسف القرضاوى" – ملمحًا إلى دور الصحابة الكرام فى إرساء مبادئ الإسلام فى القلوب مع تطبيق ذلك على أنفسهم أولاً فى قصيدته فى مناسبة المولد النبوى الشريف [1] :

يا خير من ربت الأبطال بعثته ... ومن بنى بهمو للحق أركانا
خلفت جيلا من الأصحاب تضوع بين الورى روحا وريحانا
سيرتهم
كانت فتوحهمو برا ومرحمة ... كانت سياستهم عدلا وإحسانا
لم يعرفوا الدين أورادا ومسبحة ... بل أشربوا الدين محرابا وميدانا

١. نفحات ولفحات : ص ٤٣ و والأبيات من بحر البسيط التام .

فهذا عمر بن الخطاب ﷺ المثل الأعلى للشجاعة ، والجرأة وقوة الشكيمة ، أسلم وكان إسلامه فتحًا ، وكانت هجرته نصرًا ، وكانت إمارته رحمة ، جاهد مع رسول الله ﷺ ، وكانت له آراء صائبة جاء الوحى مؤيدًا لها .

ولعل فى ذلك دعوة للشباب المعاصرين لإعمال العقل ، والتنزه عن الجمود والتحجر .

يقول الشعراوى" من قصيدة له فى مناسبة الهجرة النبوية[1] :

غنى الدين عنهم [2] برجال ... صادقى العزم قوم أحرار

وكفى الدين عزة ومثالا ... عمر العادل الطهور الإزار

دعوة المصطفى تشق عن الدين (م) حجاب الكتمان والإضمار

مثل الفطرة السليمة يأتى ... وفقها الوحى آمرا بالمشار

وإذا كان عمر بن الخطاب قد صار رمزًا للشجاعة ، والجرأة ، فإن عليًا بن أبى طالب قد صار كذلك رمزًا للفداء ، والتضحية ، فقد نام فى فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة لتضليل المشركين العازمين على قتله ﷺ ، فعل ذلك وهو يعلم أن الموت مطل عليه ، كاشر الناب ، متجهمًا ترى على أظفاره آثار الدماء المسفوكة .

لكن ما كان لسطوة الباطل أن ترهب قلبًا تعلق بالله ، وانشغل به ، وحاشا أن يغشاه ضيق أو يحل به خوف أو هلع .

يقول "الشعراوى" من قصيدته فى مناسبة الهجرة الشريفة[3] :

---

١. مجلة الأزهر: المحرم سنة ١٤١٩هـ - ص ١٠٩ ، والأبيات من الخفيف التام .
٢. الضمير عائد على الكفار ، أى : غنى الدين الإسلامى عن الكفار برجال صادقى العزم .
٣. مجلة الأزهر : المحرم سنة ١٤١٩هـ - ص ١٠٨ ، والأبيات من الخفيف التام .

هـل رأيـتم فتـى الفـداء (عليـا) كيـف يحتـل قبلـة الأخطـار ؟
وزيـرى المـوت قـد أطـل عليـه كاشـر النـاب جـائع الأظفـار
كيـف يرتـاع والنبـوة غذتـه (م) حديـد المهنـد البتـار ؟

ولعل فى استدعاء هذا الجانب من شخصية (على بن أبى طالب) ما يكون دافعًا لوعى المعاصرين إلى أن يسيروا كسيرته فى مناصرة الحق ، والوقوف بجانبه بفدائية وتضحية كبيرة ، وألا يكونوا أداة هزيلة فى يد الباطل يحركها كيف يشاء .

ويشير الشاعر "عبد الغفار هلال" إلى وقوف أبى بكر فى وجه المشككين فى مصداقية ما أخبر به الرسول ﷺ بروح المؤمن المساند للحق ، المناضل ضد الباطل ، يقول من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج[1] :

وتمـارى الضـالون يبغـون كيـدا واثـاروا العواصـف الهوجـاء
وحكـوا للصـديق زعـم خليـل أكثـروا القـول فريـة وادعـاء
وأبـو بكـر ردهـم بحـديث سـفه الحاقـدين والجهـلاء

فهل نجد بين المعاصرين اليوم من يقف فى وجه التيارات المادية الزاحفة على الإسلام منكرًا اتهامها له بعدم قدرته على قيادة الحياة ؟ وهل نجد من يتصدى للاعتدارات الآثمة التى توجه للإسلام والمسلمين فوق كل الربوع ؟!

وهل نجد فى جمهور المعاصرين من تتملكه الغيرة على دينه ، فيدفع عنه الظلم، ويعلن عن الاعتزاز به كما اعتز به السابقون فأورثهم المجد والسيادة !

١. هذا الضيـاء : ص ٧٨ ، والأبيات من الخفيف التام .

ويحاول الشاعر "يوسف القرضاوى" أن يشير إلى الطفرة الهائلة التى أحدثها الإسلام فى نفوس أصحابه ، فالضعاف الذين دخلوا الإسلام ، واستظلوا تحت مظلته لم يصبحوا ضعافًا ؛ لأنهم يملكون الإيمان الصادق ، وهو يمنحهم من القوة والهيبة ما لا يملكه الملوك وأصحاب التيجان .

يقول من قصيدة له فى مناسبة "ليلة القدر"[1] :

أمسى بلال به[2] من ذلة ملكا ... وصار سلمان شيئا غير سلمان

لله فتيان حق لو رأيت فتى ... منهم ترى ملكا فى زى إنسان

واستدعاء شخصيات هؤلاء الصحابة هنا فيه رغبة شديدة إلى استعادة هذه الصورة المشرقة للمسلمين ، فهل يستجيب لذلك أحد من الشباب المعاصرين ؟!

لقد تاهت الحقائق أمام شبابنا المعاصر ، واختلطت أمام عينه السبل ، وباتت القيم الفاضلة ترثى حظها ، وتنعى حالها !

لقد تخيل كثير من الشباب المعاصر أن الرجولة ما هى إلا "سيجارة" فى الفم، وشعر جميل يلمع بالزيت ، وملابس مزركشة ، وقصة شعر حديثة فيها كثير من الجنون والخبل .

والليل يعرفهم عباد هجعته ... والحرب تعرفهم فى الروع فرسانا

دستورهم لا فرنسا قننته ولا ... روما ولكن قد اختاروه قرآنا

زعيمهم خير خلق الله لا بشر ... إن يهد حينا يضل القصد أحيانا

---

١. نفحات ولفحات : ص ٣٩ ، والأبيات من بحر البسيط التام .
٢. أى : بالإيمان .

ولنا أن نقول بعد أن استعرضنا النماذج السابقة : إن بروز محور "استدعاء شخصيات الصحابة" والتعبير عنهم ، واستجلاء ملامح حياتهم الشخصية ، مع التأكيد على ما اشتهر به كل واحد منهم من القيم الرفيعة ، والأخلاق العالية ، ليدل دلالة واضحة على شوق شعراء الأزهر المعاصرين إلى إحياء تلك الأمجاد الماضية ، لتعيش الحاضر ، وتعمل على إصلاح ما فسد فيه ، وتوجه قيادة الحياة إلأى الالتزام بالطريقة الفاضلة التى تتمشى مع مبادئ المنهج الإسلامى الرشيد .

كما يدل ذلك على حب شعراء الأزهر المعاصرين لاستحضار صورة ذلك الماضى على الدوام ؛ حتى لا يغيب عن الأذهان فى زمن كثرت فيه الهتافات والصور البراقة ، والمفاهيم الخاطئة ، والزعامات الخادعة .

"وفى إلحاح الشعراء على طلب ذلك وتجليته ما يعبر عن نكبة الإنسان المعاصر ، وسقوطه فى مهاوى التردى والظلام ، وليس إلا نداء الإسلام وأبطاله يستطيع أن يرد إليه نور الحياة بعد أن ينتشله من الضياع"[1] .

الدفاع عن الإسلام :

يواجه الدين الإسلامى فى الفترة المعاصرة هجومًا شرسًا من أعدائه فى الداخل وفى الخارج على حد سواء .

والهجوم على الإسلام ليس أمرًا جديدًا فى حياة المسلمين ، فالإسلام منذ أن بدأ محمد بن عبد الله يدعو الناس إلى الله والحرب معلنة عليه ، والمكائد تدبر له ،

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر : ص ٨٧ .

وتحاك له المؤامرات ، واضطر المسلمون بسبب ذلك إلى الدخول فى كثير من المعارك الطاحنة والتى كان له الغلبة فيها فى نهاية الأمر.

لقد تأمرت على الإسلام كل قوى الأرض ، ووقف فى وجهه كل جبار عنيد ، ودارت على الجميع الدوائر ، وطويت صفحاتهم تحت طيات الأمواج ، وبقى الإسلام فى النهاية قويًا شامخًا لا يهتز ، ولا يتزلزل له قناة ، وكان مثلهم فى محاولة هدمه .

كنا طح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل[1]

ولما رأى أعداء الإسلام أن طريقة الحروب وإراقة الدماء قد فشلت فى القضاء عليه ، فكروا فى طريقة أخرى للنيل منه ، فكان أن اتخذوا الحروب الفكرية وسيلة لهم إلى ذلك ، وعملوا على نشر أفكارهم المسمومة فى ديار المسلمين ، واتخذوا لهم عملاء خائنين داخل البلاد ، فكان الخراب والدمار ، وكان الفراغ الداخلى القاتل بين أبناء المسلمين إلا من رحم ربك .

وقد زادت حدة هذه الموجة فى العصر الحديث ، ولا سيما فى الفترة المعاصرة .

وكان لابد ان يكون لشعراء الأزهر رد فعل تجاه هذا التعنت السافر ، خاصة وأن أغلبهم من العلماء الذين هم سدنة الدين ، وحفظته ، وكانت "الكلمة" هى سلاحهم الذى شرعوه فى وجه أعداء الدين فى محاولة للدفاع عنه ضد كل التهم التى وجهت إليه .

---

١. ديوان الأعشى : شرح وتعليق د. محمد محمد حسين – ١١١ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة – بيروت .

ولقد كان فى مقدمة التهم التى وجهت إلى الإسلام : أنه دين رجعى ، يدعو إلى السلبية والابتعاد عن مخالطة الحياة ؛ لأنها فى نظره شر محض ، وعدو لدود ، وكان هدفهم من وراء هذا الإتهام : أن يروجوا لفكرة دنيئة ، هى أن الإسلام هو السبب المباشر فى تأخر المسلمين عن ركب الحضارة والتقدم ، وأنهم لكى يلحقوا بغيرهم لابد لهم أن يتخلوا عنه ، ويصرفوا كل همهم إلى حضارة الغرب وفكره المتجدد[1] .

والحق : أن كل ما يعاب على المسلمين اليوم ليس من الإسلام فى شيء ، وإنما هو شيء آخر سموه إسلامًا ، والقرآن شاهد صادق ..

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]

يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم عنه لاهون ، وعما جاء به معرضون [3] .

فـ "التخلف الذى يعانى منه المسلمون اليوم ليس سببه الإسلام ، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه ، لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين .

فليست هناك صلة بين الإسلام وتخلف المسلمين"[4] .

كما يرجع هذا التخلف إلى أن المجتمعات الإسلامية حين أصابها الضعف الفكرى والتفكك الاجتماعى ، انصرفت عن تعاليم الإسلام التى تدعو إلى العلم

---

١. راجـــــع : صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ٩٨ .
٢. سورة فصلت : الآية ٤٢ .
٣. راجع : الإسلام دين العلم والمدنية ، الإمام محمد عبده – ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م .
٤. الإسلام فى مواجهة حملات التشكيك : د. محمود حمدى زقزوق – ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

والمعرفة واستعمال العقل والفكر، وانشغلت بالتافه من الأمور، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم والتقدم والحضارة[1].

فالعيب إذن يكمن فى الجفاء القائم بين المسلمين وبين الإسلام بسبب سوء عرضه، وتشويه تعاليمه، وتصويره بصورة الدين الجامد الذى لا يقبل المرونة ولا يرضى عن التطور[2].

وشيء طبعى أن يقف شعراء الأزهر المعاصرون ضد هذه التهم، محاولين رفعها والرد على أصحابها.

فهذا الشاعر الأزهرى الحر "محمود فايد" يقف ضد هذه التهم، وينفى تهمة التخلف والرجعية عن الإسلام، مبينًا أن الإسلام فى أصله دعوة إلى العلم والتفكير، فلما ركن أهله إلى الجهل، ضاعت أمامهم معالم الطريق.

يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة الإسراء والمعراج[3]:

أيا أمة الإسلام هذا رسولكم ... أتاكم بدين من يواليه ينصر

يشّيد للعلم الصحيح معاقلا ... ويكشف أسرار الوجود ويظهر

ويدعو إلى التفكير فى ملكوته ... ويفتح آفاق السماء لتنظروا

فما بال قومى قد تعاموا عن الهدى ... وملوا حياة العلم حتى تأخروا

لقد كشف الأعداء أسرار خلقه ... ونحن بهذا الكشف أولى وأقدر

أعدوا لهم ما تستطيعون من قوى ... ولا تركنوا للجهل فهو مدمر

---

١. هدية مجلة الأزهر: جمادى الأولى سنة ١٤١٤هـ - ص ٣٣

٢. راجع: الإسلام المصفى، محمد عبد الله السمان، ص ١٠. مكتبة وهبة.

٣. الاعتصام: رجب سنة ١٣٨٧هـ - ص ٨٠، والأبيات من بحر الطويل.

فـإن تـك إسـرائيل أمسـى بلاؤهـا خطيرا فبلوى الجهل أدهى وأخطر

أيـا أمـة الإسـلام هيـا فعلمـوا شـبابكم حتـى تفـوزوا وتظفـروا

فالإسلام منهج بناء للحياة ، وتعمير للأرض ، أما غيره من التيارات والمذاهب فهو ينطوى على تدمير الحياة ، وعصف بملامح الخير فيها ، ولكن من عميت بصائرهم ، واستحكم فيهم الجهل لم يهتدوا إلى ذلك .

لقد ضل الفكر بأبناء المسلمين ، حتى ذابوا فى متهات الحياة الجديدة ، وتلاشت عندهم ملامح الشخصية الإسلامية ، وتناسوا أن الإسلام قوة خفية ، وأنه مهما خفت ضوؤه ، سوف ينبعث منه النور يومًا فتنقشع ظلمات الحياة ، ويخنس الباطل ، ويبدو الحق ورافعًا بين يديه رايات الإسلام خفاقة فوق كل الربوع .

يقول الشاعر "عبد الغفار هلال" مشيرًا إلى تلك المعانى من قصيدة له فى مناسبة "غزوة بدر"[1] :

هـذا هـو الإسـلام يبنـى للحيـا مفـاخرا وسـواؤه هـدام

ضـلت بنـا عنـه الجهالـة يالهـا مـن كبـوة زلـت بهـا الأقـدام

أعلنـتم التوحيـد وهـو مكانـة عليـا لهـا فـوق السـماء مقـام

كتبت بنور الحق ليس يضيرها إثـم وسـوف تحطـم الآثـام

ويظل يشرق فى الخلود ويعتلى عـرش الكرامـة إنـه الإسـلام

١. هذا الضياء : ص ١٠٤ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

ولقد تنادى أعداء الإسلام بفصل الدين عن الدولة ، وهذا معناه : أن تنحصر تعاليم الإسلام بين جدران المساجد فقط ، وتسن قوانين وضعية جديدة لتحديد العلاقة بين الناس والحكومة ، وبين الناس والناس من جهة أخرى .

وسرعان ما حمل هذا الشعا المستشرقون المقنعون بقناع العلم والبحث ، والمستعمرون ومن تابعهم من الأبواق الرخيصة فى ديار الإسلام ، كما تبنت الصحف المأجورة للعدو فى ديار المسلمين الدعوة إلى هذا الشعار ، مرتدية ثياب العلم حينًا ، والغيرة على الشرق المسكين حينًا آخر ، وإمعانًا فى التضليل لم تحمل الصليب شعارًا لها ، بل اتخذت "الهلال" عنوانًا تنفث فى أفيائه السم ، وتزرع فى ضيائه العلقم[1] .

والذى ينبغى أن يتنبه إليه المعاصرون ، هو أن الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة ، فى ديار الإسلام خاصة ، هدف يلتقى عليه أعداء الإسلام على ما بينهم من تنافر ونزاع ، لا فرق فى ذلك بين صليبى حاقد ، ويهودى خبيث ، ومستشرق مضلل ، ومستعمر غاشم .

ومن الغريب أن يلتقى أهل اليسار واليمين من المنحرفين على تبنى هذا الشعار ، والعمل على وضعه موضع التنفيذ ؛ لأنه يبلغ كل واحد من هؤلاء غايته ، ويحقق له أهدافه[2] .

---

١. راجع : فصل الدين عن الدولة ضلالة مستوردة ، يوسف العظم – ص ١٢، ١٧ .
٢. السابق – ص ٢٣ .

ولعل الهدف المستور من وراء هذا كله ، هو عزل لغة القرآن الكريم عن الحياة ، وبالتالى إهمالها ، وعدم الإهتمام بها ، والنظر إليها على أساس أنها تراث قديم فقط

ثم تشجيع المرأة على التبرج ، وعرض جسدها على شواطئ البحار ، وفى منتديات الليل فى حفلات الرقص وسهرات العرى ، ومسابقات الجمال .. آخر ما ابتكره عقل الإنسان الشيطان من أسواق النخاسة !!

ومن الأهداف الخبيثة لهذا الشعار ايضًا : أن يندفع الناس فى تيارات بعيدة عن روح الإسلام ، حتى يتسنى بعد ذلك قمع كل من يخلط بين الدين والسياسة ، والتنكيل به .

يقول الشاعر "يوسف القرضاوى" رافضًا شعار فصل الدين عن الدولة ، وإبعاده عن حركة الحياة ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة المولد النبوى[1] :

فقل لمن ظن أن الدن منفصل ... عن السياسة خذ ياغر برهانا[2]

هل كان أحمد يوما حلس صومعة ؟ ... أو كان أصحابه فى الدير رهبانا؟[3]

هل كان غير كتاب الله مرجعهم ؟ ... أو كان غير رسول الله سلطانا ؟

لا ، بل مضى الدين دستورا لدولتهم ... وأصبح الدين للأشخاص ميزانا

ولقد علا شأن المسلمين السابقين حين جعلوا الدين دستورًا لدولتهم ، وأنه لكى يرتفع نجم المسلمين المعاصرين لابد لهم أن يثبتوا على الحق ، وأن يتخذوا من الدين الإسلامى شعارًا لهم ، ومنهجًا مقومًا لحياتهم .

---

١. نفحات ولفحات : ص ٤٣ ، والأبيات من البسيط التام .
٢. الغـــــــر : هو من ينخدع بالأمور .
٣. الحلـــــــس : هو ما يفرش فى البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع . وحلس بيته : لا يبرحه .

ويوضح الشعراء أن الأمة الإسلامية المعاصرة لن تقوى على الوصول إلى هذه الغاية النبيلة إلا إذا أخذت بأسباب القوة ، وتحررت من الوقوع تحت سيطرة أعدائها ؛ لأنها إن استعانت بهم كانت كالمستجير من الرمضاء بالنار!

يقول الشاعر "محمود فايد" ناصحًا المعاصرين بوجوب احتضان تعاليم الدين الإسلامى ، ففى ذلك يكمن النصر وتكمن السعادة[1] :

يا أمة الإسلام جدوا وليكن ... لكم بأحمد أسوة حسناء
هل كان هذا الدين إلا ثورة ... فيها على حزم الشرور قضاء
هبوا لنصر الدين لا تتخاذلوا ... إن التخاذل فتنة وبلاء
وخذوا بأسلحة الحياة فإنه ... ما عاش يوما أمة عزلاء
لا تأمنوا روسيا وأمريكا فما ... فى النار للظمآن يرجى ماء
سيروا على حذر ولا تتورطوا ... فالبعد عنهم جنة ووقاء
يا أمة الإسلام سيروا واسلكوا ... سنن النبى فإنها زهراء
فالله خص نبيه بشريعة ... فى طيها للعالمين رخاء
عضوا عليها بالنواجذ لا تنوا ... أو ما كفاكم ذلك الإبطاء

ومن التهم والافتراءات التى وجهت إلى الإسلام على أيدى خصومه : تهمة انتشاره بالسيف وقوة السلطان ... وهى تهمة أشاعها أعداء الإسلام رغبة فى النيل منه ، وتشويه صورته ، ورفض هيمنته على الحياة .

١. الاعتصام : السنة (٢٢) ، العدد (١٢) – ص ٢٣ .

والحق : أن المسلمين حاربوا من حاربهم فى دينهم ؛ دفاعًا عن هذا الدين ، فلم يحاربوا الحبشة ؛ لأنها سالمتهم ، ولم تبدأهم بحرب ، وحاربوا الفرس والروم ؛ لأنهم أرادوا تحطيم الإسلام والمسلمين .

فكل غزوة حدثت ، وكل سرية أو جيش أرسله الرسول ﷺ إنما كان لرد عدوان وقع ، أو لتحطيم كل استعداد لعدوان سيقع .

والدليل على ذلك : أن أهل الديانات الأخرى عاشوا فى ظل الإسلام فى حرية تامة فى كل أنحاء العالم الإسلامى ، ولم يجبروا على ترك عقيدتهم ، ولم يضيق الإسلام عليهم فى شعائرهم ، ولم يشعروا يومًا بالاضطهاد .

هذا ، وقد ظهرت بوادر هذه التهمة فى مطالع عصر النهضة ، مما جعل الشعراء وقتها – وعلى رأسهم شوقى – يهبون لدفعها ، والعمل على الإعلاء من قدر الإسلام[1] .

فلما كانت الفترة المعاصرة ، وجدنا عددًا كبيرًا من شعراء الأزهر يدفعون عن الإسلام هذه التهمة ، ويقررون سماحته ، ويشيدون بعطفه عن أهل الديانات المختلفة .

فهذا الشاعر "حسن جاد" يذكر أن الرسول ﷺ حمل أعباء الجهاد والدفاع عن الدعوة الإسلامية ، تارة عن طريق السلم ، وتارة عن طريق الحروب وإعمال السيوف، لكنه كان فى حربه ملتزمًا بالحق ، مراعيًا للحقوق والذمم ، هدفه الأسمى : حماية الدعوة الإسلامية من تيارات الكفر التى تريد اقتلاعها .

---

١. راجـــــع : الشوقيات ، جـ١ – ١٥٥ ، دار الكتب العلمية بيروت .

يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة المولد النبوى الشريف مشيرًا إلى ذلك[1] :

كم حملت الأذى جهادا ومانؤ ت بأعبائه ، وذو العبء يجهد
وسلكت الأمور سلما وحربا فى اصطبار فذ وعزم موطد
بين سيف بمنطق الحق هاد وسلاح على الضلال مجرد
من يزد عن حمى الإله فلا يخـ ش أذاة فكل نار ستخمد

وكما كانت حروب المسلمين تهدف إلى نصرة الدعوة الإسلامية ، فقد كانت تهدف أيضًا إلى نصرة الضعفاء من تسلط الأقوياء وتجبرهم .

لذا ، وجد الضعفاء فى الإسلام ملاذًا يحتمون به من هجير الحياة وقسوة الطغاة .

يقول الشاعر "محمد عبد المنعم خفاجى" من قصيدة له فى مناسبة مولد الرسول ﷺ مبينًا هذا الجانب[2] :

ولأجل المستضعفين وكل النـ ـاس كم حاربت ظلما وجورا
عشت كل الحياة عسرا ويسرا ومن الدهر ذقت حلوا ومرا
لست تزهو بالمال ، والنصر والقـ ـة ، فارتدت الهزائم نصرا

وإذا كان الواقع يشهد أن الغزو لأى بلد من البلدان يورثها ويورث أهلها الشقاء والدمار والتشرد ، فإننا هنا نسجل بكثير من الفخر والإعجاب : أن فتوحات

١. مجلة الأزهر : ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ .
٢. أحلام السراب : ص ١٣ .

الإسلام الكثيرة كانت تهدف إلى خدمة الحياة الإنسانية ، ولم تكن تسعى إلى أى أطماع استعمارية أو أية نزعات توسعية ، ولأجل هذا كانت البلاد المفتوحة تجد فى دعوة الإسلام الحصن الواقى ، والحضن الدافئ ، فتسلم له قيادها ، وتعيش فى ظل سياسته العادلة هانئة راضية .

يقول الشاعر "حسن جاد" مشيدًا بهذه اللقطة التى تفردت بها الفتوحات الإسلامية ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة المولد النبوى [1] :

وفتحت إسعادا وكم من فاتح ... فى فتحه حل الشقاء المحدق

ما كان إلا للسعادة والهدى ... رمح يسدد أو حسام يمشق

وبنيت ملكا باذخا بشريعة ... تسع الحياة جديدها لا يخلق

الحق والسلم الموطد أسها ... والعدل خفاق عليها يسمق

فالرسول ﷺ لم يكن داعية حرب وقتال ، وإنما كان داعية سلام وأمان لكل الناس ، ولم تكن الحروب مقصدًا يسعى إليه ، وإنما كانت تستفزه إليها ظروف ودوافع ، أهمها : حماية الدعوة الإسلامية فى مهدها ، وتقليم أظافر الكفر والشر .

يقول الشاعر "عبد الغفار هلال" موضحًا هذا الجانب الهام فى الحروب الإسلامية ، من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف[2] :

معارك قد أدار هنا رحاها ... على الساعى بطغيان ورجس

وباطلهم تردى فى لظاها ... وأصبح عبرة ونذير درس

---

١. الأزهر : المجلد الثالث والعشرون – ص ٣٣١ .

٢. هذا الضياء : ص ٦٠ و ٦١ ، والأبيات من بحر الوافر التام .

ولـم تكـن الحـروب لديـه مغـزى ولكـــن حفظهـــا للـــدين قدســـى

ويشير الشاعر – فى موضع آخر – إلى أمر هام تجب العناية به فى هذا المقام ، وهـو أن الرسـول ﷺ وصـحابته الكـرام لم يشـرعوا سـيوفهم علـى أحـد ابتـداءً ، وإنمـا شرعت بعد طول صبر وجدل ومحاولات للإقناع ، ولما لم تجد معهم النصيحة ولم ينفع معهم اللين ، كان إعمال السيف هو الطريق الوحيد إليهم .

يقول من قصيدة له من مناسبة المولد النبوى[1] :

السـيف لـم يكـن الطريـق إلـيهم كـلا ومـا فـى الـدين مـن إجبـار
بـل كنـت تكلـؤهم بعـين عنايـة وتـــذود أنفســـهم عـــن الأخطـــار
فالتف حولك كل من بلغ النهى وأتـــت إليـــك جمـــوعهم بخيـــار
لكنمـا أعملـت سـيفك فـى العـدا لمـــا بغـــوا إطفـــاء ذى الأنـــوار
وكمـا غزوك رددت كيد عدائهم فـــى نحـــرهم وفتكـــت بالكفـــار
النـاقمين علـى الفضـيلة والهـدى النـــــازلين منـــــازل الفجـــــار
رامـوا مغيـب الشـمس يسـطع نورهـــــــــــــــا فتبـــــددت أوهـــــامهم ببـــــوار

وحـين تظهـر مـن العـدو بارقـة سـلم وسـلام ، فـإن الإسـلام يفـتح ذراعيـة لهـم ؛ تجنبًا للدخول فى متاهات الحروب وإراقة الدماء .

١. هذا الضياء : ص ٥٥ ، والأبيات من الكامل التام .

يقول الشاعر "حسن جاد" من قصيدته "عبرة الهجرة" التى نظمها عام ١٩٧٦م[١]:

إنا نقاتل من يريد قتالنا ... ونمد أيدينا لمن يتودد

من كان يجنح للسلام فإننا ... بالعدل نبتدر السلام وننشد

وإذا أتاح الحق سلم عادل ... فالحرب حمق والقتال تمرد

"هذه هى سنته ﷺ فى الحروب .. حروب لا تشن إلا للضرورة ، لخير الإنسانية وحين تنشب تسير فى اتجاه حكيم وفى دائرة مغلقة لا تتجاوز أهل العدوان والطغيان ، وعندما يجنح خصوم الإسلام إلى السلام يسارع إلى قبول دعوتهم ، ويكلهم إلى نيتهم إعلانًا منه عن رغبته فى تجنب إراقة الدماء"[٢] .

فهل يقف أعداء الإسلام على هذا الفهم ؟ وهل يدركون أن دعوتهم للسلام دعوة لفظية فقط ، أما أفعالهم فكلها تشهد بمدى القسوة والشراسة وعدم مراعاة القوانين الإنسانية التى تبقى للإنسان على كرامته .

ولعل هذا ما يظهر لنا الفرق بين الإسلام وبين غيره من الديانات الأخرى فى الناحية الحربية .

ومن جملة الاعتداءات الكثيرة على الإسلام من جانب أعدائه ، محاولتهم التشكيك فى حقيقة الإسراء والمعراج ، ونشر بذور الشك والإلحاد فى قلوب بعض الضعاف .

---

١. الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد : القسم الأول – ص ١٦ .
٢. محمد الرسول العظيم فى سلمه وحربه : ص ١١٧ ، من إصدارات الجمعية الشرعية الرئيسية سنة ١٩٦٩م .

وهذا التشكيك ليس وليد المرحلة المعاصرة ، ولكنه قديم وموغل فى القدم ، وكله يمثل سلسلة متصلة من الاعتداءات اليهودية على قداسة الإسلام ورسوله .

وقد وقف شعراء الأزهر المعاصرون – أيضًا – فى وجه هذا الاعتداء ، مدافعين عن الإسلام ورسول الإسلام بحماس وغيره شديدة .

فهذا الشاعر "أحمد عمر هاشم" يعرض هذا الأمر موضحًا موطن الخلاف فيه، فيقول من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج[1] :

يـــا ليلـــة الإســـراء كـــم حـــزب عليـــك تمـــردا
مـــن قائـــل بـــالروح لا بالجســـم ضـــل ومـــا هـــدى
فرســـولنا ســـبحان مـــن أســـرى بـــه متفـــردا
صـــعد النبـــى إلـــى الســـما مكرمـــا وممجـــدا
أوحـــى إليـــه الله مـــا كـــذب الفـــؤاد المشـــهدا

ولا نكاد نجد مبررًا لإنكار البعض لحقيقة الإسراء والمعراج ، خاصة إذا كان القرآن الكريم يثبتهما ، ولكنه الجدل الأعمى الذى يذهب بعقول أصحابه كل مذهب فى الضلال والطيش .

يقول "الشحات أبوستيت" من قصيدته بكاء فى الإسراء[2] :

بئس العقول التى مارت بمعجزة آيات (والنجم) و (الإسراء) تحكيها
تمت بجسم وروح كان نورهما كأنه الشمس تعلو فى ضواحيها

١. نسمات إيمانية : ص ١٧ .
٢. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر : ولدى صورة منها بخطه وتوقيعه ، والأبيات من البسيط التام .

يـا قـوم أذهبـتم أعمـاركم جـدلا وفتنـة الـرأى تعمـى عقـل مـذكيها

إن من يشككون فى حقيقة الإسراء والمعراج لم يربطوا بين الفعل وفاعله ، ولو أنهم فعلوا ذلك ما أنكروا تلك المعجزة الدالة على طلاقة قدرة الفاعل وهو الله عز وجل .

ولا نعتقد أن هناك مجالاً للإنكار أو التشكيك بعد أن بلغ العلم ما بلغه ، واستطاع الإنسان أن يرقى إلى سطح القمر مستفيدًا بمعطيات العلم الحديث .

وهنا يحاول الشاعر "محمود فايد" أن يرد على هؤلاء مناقشًا لهم بالعقل والمنطق ، فيقول من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج[1] :

فقل للألى قد أنكروه رويدكم أمامكم آيات ربى فانظروا

إذا جحد المعراج بالأمس جاحد فليس يمارى اليوم فيه مفكر

أيعرج صاروخ إلى قمر السما توجهه منا عقول تدبر

وتنكر أن يرقى إليها محمد بتدبير من للكائنات يسخر

أيقدر مخلوق ويعجز خالق تعاليت يا ربى فإنك أقدر

وكان من التهم التى وجهها أعداء الإسلام إلى بعض تعاليمه وأركانه ، ما قيل من أن الصوم إرهاق للجسد ، وحرمان للنفس ، وتعذيب للروح ، وأنه يقلل حركة الإنتاج لدى الأفراد .

١. الاعتصام : رجب سنة ١٣٨٧هـ - ص ٧٩ ، ٨٠ ، والأبيات من البحر الطويل .

"والصوم فى حقيقة الأمر برئ من هذه التهمة . فالصوم يفترض فيه أنه يعمل على تصفية النفوس والتسامى بالأرواح ، وهذا من شأنه أن يمد الفرد بطاقة روحية تجعله أقدر على الإنتاج والعمل أكثر مما لو لم يكن صائمًا .

وهذه الطاقة الروحية قوة لا يستهان بها ، وقد حارب المسلمون فى غزوة بدر أيام الرسول وهم صائمون وانتصروا ، وحارب الجنود المصريون عام ١٩٧٣م وهم صائمون وانتصروا ، ولم يقلل الصوم من نشاطهم ، بل كان العكس هو الصحيح تمامًا"[١] .

وعلى هذا ، فالذى يبدو من قلة الإنتاج فى شهر الصوم فى بعض بلاد الإسلام ليس راجعًا فى الحقيقة إلى الصوم نفسه ، وإنما يرجع إلى أن الكثير من الناس يقضون أكثر الليل فى السهر ، ولا يعطون أجسامهم الراحة اللازمة ، ومن هنا نراهم متعبين مرهقين أثناء النهار ، فيقل إنتاجهم ، ويعتذرون عن ذلك بأنهم صائمون .

وعلى أساس ما سبق يظهر لنا فساد هذه التهمة ، وخطأ هذا التجنى . ومن هذا المنطلق ، وجدنا من شعراء الأزهر المعاصرين من يتصدى لذلك ، ويدافع عن تعاليم الإسلام بروح المسلم الأبى الغيور على دينه .

يقول الشاعر "محمد صان الدين" من قصيدته "فى رياض الصوم"[٢] :

يا أيها الحيران فى تيه الحـ ـياة ونفسه من ريبة تتمزق

إن الذى كتب الصيام علىالعـ ـباد هو العليم بمن يصوغ ويخلق

١. الإسلام فى مواجهة حملات التشكيك : د. محمود حمدى زقزوق – ص ١٤٦ .
٢. أعاصير وأنسام : ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، والأبيات من الكامل التام .

وصف الصيانة والدواء لخلقه عن حكمة وهو الرحيم المشفق
للروح والوجدان والجسم العلـ يل شفاؤه مستيقن متحقق

فالصوم عند المسلمين فرصة لتنمية النواحى الروحية ، وللشفاء من كثير من الأمراض التى لا تبرأ إلا بالصوم ، ونحن نعلم أن الإنسان منا إذا نصحه طبيبه بخطة معينة فيها ضمان للحافظ على صحته ، فإنه يسارع إلى تنفيذها ، والعمل بمقتضاها ، فإذا أمر الله بالصوم بعد ذلك ، كان علينا أن نلبى ذلك طائعين ؛ لأنه هو الذى خلقنا ، وهو الذى يعلم ما فيه نفعنا وصلاحنا .

يقول[1] :

ليت الذين استثقلوك فأعرضوا وردوا ينابيع التقى وتذوقوا
ماسروهم إذ ذاك أن ممالك الـ نيا لهم من دون ذلك مرفق

وهكذا وجدنا شعراء الأزهر المعاصرين يقفون فى وجه التهم والافتراءات التى حاول أعداء الإسلام إلصاقها به بكل جسارة وغيرة ، يدافعون ويردون كل قول منكر، وقد استتبع ذلك منهم الإشادة بالإسلام ومحاسنه عقب ردهم على كل تهمة .

وقد ظهر كل ذلك من خلال شعر المناسبات الدينية التى كثر النظم حولها فى تلك المرحلة .

١. السابق والصفحة .

د. الإسلام طوق النجاة :

منذ ظهرت الدعوة المحمدية والمسلمون يلتزمون بتطبيق مبادئها على أنفسهم بدقة متناهية ، حتى صارت تعاليم الدين الإسلامى هى الدستور الخالد الذى يمد الحياة بالحركة ، ويقود مسيرة الإنسان فيها دون أن ينازعه فى ذلك أى اتجاه آخر.

ومرت قرون عديدة كلن للإسلام خلالها اليد الطولى ، والكلمة النافذة ، والهيمنة والغلبة ، ثم حلت بالمسلمين أيام عجاف خلال حكم العثمانيين لهم ؛ إذ لم يكن لهؤلاء رصيد ثقافى أو حضارى يستطيعون به إرواء ظمأ الحياة ، وتفجير الطاقات ، وإنما تعطلت فى عهدهم أنشطة الحياة ، وفقد الإسلام بذلك شيئاً غير قليل من سيطرته على حركة الحياة[1] .

ثم ابتلى العالم الإسلامى بالاستعمار الأوربى ردحًا من الزمن ، وكان المستعمرون خلال هذه المدة يعملون على نشر ثقافتهم وآرائهم وأفكارهم فى عقول الشعوب .

وقد حدث أن تأثر بهم طائفة من المصريين ، وصاروا أبواقًا تعمل لحساب المستعمر على أرضنا ، وأشاعوا أن اتباع الثقافة الأوربية هو أساس لكل تقدم وحضارة .

١. راجع : صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ٨٨ .

وانطلاقًا من هذا ، ظهرت كثير من التيارات الفكرية التى تهدف إلى تقديم خدماتها للبشرية كبديل للاتجاه الإسلامى ، كالتيار اليسارى ، والتيار القومى العربى ، والتيار الوطنى المصرى .

وكان لابد للإسلام أن يثبت وجوده فى هذا الوقت الذى كثرت فيه المذاهب والتيارات التى تريد اقتلاعه من فوق الأرض .

"ولا نبالغ إذا قلنا : إنه يعيش مرحلةً من الإنطلاق والصحوة فى المدة الراهنة، بسبب تلك الموجات الشرسة التى تحاول القضاء على الإسلام فى الداخل والخارج"[1] .

وكان شعراء الأزهر المعاصرون على وعى كامل بكل ما يدور حولهم وعلى أرضهم من تيارات ومذاهب ، وكانوا يعملون على تقديم الدواء للناس من خلال منظوماتهم فى المناسبات الدينية المختلفة ، وكان الدواء عندهم ممثلاً فى وجوب العودة إلى شراع الله الحكيم ؛ لأنه مرقاة الصعود ، وسلم الشرف والمجد ، وطوق النجاة ، خاصة بعد أن ثبت فشل كل المشاريع والقوانين الوضعية عن إقاذ الإنسان المعاصر مما يعانيه من قلق واضطراب وغربة نفسية .

فهذا الشاعر "الشحات أبو ستيت" يدعو كل مسلم إلى الانتباه والتحرر من حياة الغفلة واللهو ، حتى يستطيع التعرف على ما يحيط به من فكر هدام ، ويميز بين ما ينفعه وما يضره .

---

١. المصدر السابق : ص ٩٠ .

ويدعو الشاعر – أيضا – إلى الإقبال على تعاليم الإسلام التى سرت فى الأرض فأنبتت فيها الحياة ، وغرست فيها الأمل ، وحولت الرمال الصفراء ، والصخر الأصم إلى جنة خضراء ، فعمرت به الأرض بعد خراب ، ولانت القلوب بعد قسوة وغلظة ، وارتفعت للحق أعلام .

يقول من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج[1] :

يـا غـافلا وحيـاة اللهـو تفتنـه هيـا انـتفض وتـذكر مـن عواديهـا

أقبـل علـى الدين فالإسلام منهجنـا روح الوجـود سـرى فـى الأرض يحييهـا

شـرع قـويم بـه الـرحمن أكرمنـا بنـوره نعمـر الـدنيا ونبنيهـا

وإذا كان بعض المسلمين قد جنح به الفكر ، وقاده الهوى ، فابتعد عن تعاليم الإسلام ، وراح يتخبط فى متاهات لا قرار لها من الفكر الوافد الخبيث ، وإذا كان المسلمون قد انقسموا إلى أحزاب متطاحنة متصارعة كل جماعة تلهث وراء تيار من التيارات المناهضة للحركة الإسلامية ، فإن الإسلام قد ترك الباب مفتوحًا لكل من أدرك خطأ مذهبه ، وأراد الانصياع تحت راية الإسلام ، فهو يسع برحابته كل البشر .

يقول الشاعر "محمد صان الدين" من قصيدته فى مناسبة مطلع عام هجرى[2] :

أفيقـوا يـا بنـى الإسـلام إنـا علـى خطـر يهـددنا اجتيـاح

١. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر : ولدى نسخة منها بخطه وتوقيعه ، والأبيات من بحر البسيط التام .
٢. أعاصير وأنسام : ص ١٤١ ، والأبيات من بحر الوافر التام .

لـئن جنحـت بنـا الأهـواء حينـا ... وزايـل عيشـنا الـدين الصـراح
ورحنـا فـى وعـور التيـه نعـدو ... وأهزلنـا التشـتت والجمـاع
فـإن حظيـرة الإسـلام حصـن ... وأن العـود ميسـور متـاح
فمـا شـردت شـرا ذم مـن حماهـا ... وكـان لهـا علـى الـدنيا فـلاح

ولن يجد الإنسان من يحقق له الحياة اللينة الكريمة ، ويحفظ له كرامته إلا فى الإسلام ، فهل يعقل الوعى المعاصر ذلك ، فيعمل على وصل ما انقطع ، وتجميع ما تمزق من الصلة بينهم وبين دينهم .

يقول "عبد الغفار هلال" من قصيدته فى مناسبة "استقبال رمضان" مشيرًا إلى ذلك[1] :

أخلـص لـدينك كـى تعيش مكرمـا ... وتنـال فـى غـرف الجنـان نـوالا
سر مثل ما كان الرسول وصحبه ... نبلـت خلائقهـم سـموا أعمـالا
يتبتلـون بصـومهم وصـلاتهم ... وبعـزمهم قـد صـدقوا الأقـوالا
قـد كنـتم إخـوان صـدق سـالفا ... عـودوا فـأحيوا مـا تمـزق حـالا

إن سـنة اللّٰه فـى خلقـه أن ينصـر مـن ينصـر دينـه ، ويمكـن لـه فـى الأرض ، فآباؤنـا السـابقون عمـروا الأرض ، وفتحـوا الـبلاد ، ووزعـوا الخـير فـى كـل مكـان ، وأقاموا دولة إسلامية شامخة كان دستورها الدين ، وسلاحها العلم النافع .

١. هذا الضيـــاء : ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

ولن يتحقق للمعاصرين نصر ولا فتح إلا إذا اهتدى العاصى ، وكان الشرع الإسلامى أساسًا لحركة الحياة .

يقول الشاعر "الشحات أبو ستيت" من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج ملمحًا إلى هذا القانون السماوى العادل[1] :

يا أمة الإسلام إن الحق ناصركم ... إذا اهتدى لصراط الله عاصيها

آباؤكم خذلوا الدنيا وما انهزموا ... وعمروا الأرض دانيها وقاصيها

وشيدوا دولة الأمجاد شامخة ... اعلم رائدها ، والشرع حاميها

شوقى أراكم مضيتم فى مسالكهم ... وأمة المجد قد زالت غواشيها

فالطريق الوحيد للنجاة والبعد عن الانزلاق فى الهاوية ، هو اتباع منهج القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ ، ففيهما الشفاء لكل أدواء البشر ، وفيهما المجد والخلاص من ورطة الضياع .

وإذا ارتاب مرتاب فى هذا الأمر ، فلينظر إلى صفحة الماضى ، وسوف يدرك حينئذ أن الإسلام هو طوق النجاة ، وأساس عز الحياة لكل من سار على هداه .

يقول الشاعر "عبد الغفار هلال" مشيرًا إلى الطريق الوحيد للنجاة فى ظل المخاطر المعاصرة ، من قصيدة فى مناسبة المولد النبوى[2] :

إن النجاة الحق فى قرآننا ... وحديثك الميمون وهو دواء

بالدين يحيا مجد أمتنا التى ... كانت لها فى الخافقين سماء

---

١. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر : ولدى صورة منها بخطه وتوقيعه ، والأبيات من البسيط التام .

٢. هذا الضياء : ص ٥١ ، والأبيات من الكامل التام .

إسلامنا دين الحضارة والعلا ... سارت به الركبان والآناء

فليذكر التاريخ أياما لنا ... وليسرد الأحداث كيف يشاء

وقوام هذا الدين صنع إلهنا ... وعليه يرقى للحياة بناء

وإنما كان الإسلام بهذه المكانة العالية ، لأن قانونه هو القانون الوحيد الذى يستطيع أن يرسم ملامح السعادة على وجه الحياة ، بما يحمل بين أعطافه من عوامل الرقى ، ومعانى المحبة ، والإخاء ، والعدل ، والمساواة ، والتواصل ، والتراحم بين الناس ، بينما يشقى الغرب بما وضعه لنفسه من قوانين جعلته يرسف فى القيود ويتمرغ فى الشقاء .

يقول "عبد الغفار هلال" مشيرًا إلى هذه المعانى من قصيدة له فى مناسبة استقبال شهر رمضان[1] :

قانونه يهب الحياة وجودها ... فمثاله أبدا يكون محالا

فحضارة ومعارف وثقافة ... فى أى قرآن ترى الأمثالا

وبكل معنى من إخاء أو ... مساواة يشيع محبة ووصالا

تسمو به هذى الحياة منازلا ... وبكل ميدان تحل رحالا

فى حين كان الغرب يرسف فى الدجى ... ويغط فى نوم كسا جهالا

وإذا كان المعاصرون يتطلعون إلى التقدم والرقى الحضارى ، ويرون ذلك كله فى متابعة الغرب والأخذ بمبادئه ، فإن دين الإسلام يحمل من المبادئ الحضارية ،

١. هذا الضياء : ص ٨٥ ، ٨٦ ، والأبيات من الكامل التام .

والقيم الأخلاقية ، والأساليب الراقية ما يضمن تحقيق الحياة الراشدة من خلال تطبيق منهج الشرع الإسلامى على حياتنا .

يقول "هلال" من قصيدة له فى مناسبة "المولد النبوى الشريف"[1] :

فينا كتاب الله منهج شرعة ... ميمونة الطلعات للنظار

فى ظله تبقى الحياة رشيدة ... وتحيد عن شر وعن أوزار

والسنة الغراء تحدو ركبنا ... وتفض سر الروح بالإظهار

لو أننا سرنا على هذا الهدى ... لارتجت الأرضون بالإكبار

شعب له هذى المبادئ كلها ... هو سيد والزائغون جوار

ورغم علم المسلمين أن الإسلام هو طوق النجاة ، وأن القرآن الكريم هو دستوره الخالد الباقى ، فإن جحافل المسلمين المعاصرين بعيدون عن القرآن كل البعد ، فالقرآن فى الشرق شمس ساطعة .. لكنها شمس بين عميان لا ينتفعون بها ، لقد اكتفوا بتعليق بعض آيات منه على صدور الأطفال حرزًا لهم ، أو وضعه فى المحلات والسيارات تبركًا به ، أو قراءته على الموتى فى قبورهم ترحمًا عليهم ، وهم لغباوتهم لا يحكمون شرعه فيما بينهم ، حتى كاد أن يكون محبوسًا بين جدران المساجد فقط!

١. هذا الضياء : ٥٦ ، ٥٧ ، والأبيات من الكامل التام .

المبحث الثانى

شعر المناسبات الدينية ونقد الواقع المعاصر

وكيف يكتب لنا الرقى والخلاص والوسيلة عندنا معطلة ، بما ألقى عليها من أكوام التراب ، وما غشيها من أمواج الغفلة والنسيان !

يقول الشاعر "يوسف القرضاوى" ناعيًا حال القرآن بين المسلمين المعاصرين بصورة تمزق القلب ، وتؤلم الوجدان ، من قصيدته فى مناسبة "ليلة القدر"[1] :

هذا الكتاب غدا فى الشرق وا أسفا ... شمسا تضئ ولكن بين عميان

يحاط بالطفل حرزًا من أذىً ... وفيه حرز الورى من كل خسران وردىّ

يتلى على ميت فى جوف مقبرة ... وليس يحكم فى حى بديوان

فكيف نرقى ومعراج الرقى لنا ... أمسى يجر عليه ذيل نسيان ؟

وروح اليأس ظاهرة فى كلام القرضاوى السابق ؛ نظرًا لاتساع الفجوة بين المسلمين وبين كتابهم المقدس ، لكن المؤمن لا يعرف اليأس ، وأمله فى الله كبير دائمًا ، فهو صاحب الأمر ، الذى بيده كل شيء وإليه ترجعون .

وهكذا تعاونت جهود شعراء الأزهر المعاصرين على تصوير القيم الإسلامية ، وإبراز محاسن الإسلام ، ومزايا تشريعاته الحكيمة ، وتصويره بصورة المنقذ والمخلص للبشر من كل الآلام التى يعانون منها ، فى عالم كثرت فيه المذاهب والتيارات ، وانتشرت الضلالة ، حتى اختلطت الأوراق على كثيرين ، لكننا يكفينا

١. نفحات ولفحات – ص ٣٩ ، والأبيات من البسيط التام .

للإفلات من ذلك "أن معنا من الدين عصمة من الزلل ، وأمنًا من كل خوف ، وأنسًا من كل وحشة ، وانفراجًا من كل ضيق أو تأزم"[1] .

شعر المناسبات الدينية ونقد الواقع المعاصر :

عندما نطالع ما كتبه شعراء الأزهر من شعر المناسبات الدينية فى الفترة المعاصرة ، يسترعى انتباهنا أمر هام ، وهو توارد خواطرهم والتقاء أفكارهم حول فكرة "نقد الواقع المعاصر" وتعريته أمام السواد من البشر ، ثم ينساق هؤلاء الشعراء فيذكرون الكثير من ملامح تردى هذا الواقع ووقوعه فى هوة الضياع والتشتت ، ولم يكن المقصد من ذلك عندهم تشويه صورة الحاضر ، أو صد الناس عنه ، وإنما كان هدفهم الأول : هو تذكير المعاصرين بالخطر الذى يدنو منهم شيئًا فشيئًا ، حتى ينتبهوا إليه ، ويأخذوا حذرهم ، فتكون السلامة والنجاة .

فالهدف الأساسى من تركيز شعراء الأزهر المعاصرين على نقد الواقع الإسلامى المعاصر ، هو محاولة الكشف عن موطن الداء الذى ينخر فى أوصال المسلمين على مستوى الفرد والجماعة ، ثم محاولة وضع الدواء الشافى له .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نضج فى الفكر ، ونمو فى الوعى ، وحرص على المصلحة العامة ، وغيره شديدة على أبناء المسلمين المعاصرين .

وإذا كان الشعر هو التعبير عن الحياة كما يدركها الشاعر ، فقد رأينا العديد من شعراء الأزهر المعاصرين يدركون حقيقة الحياة المعاصرة بكل ما تموج به من

---

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ٩٧ .

حب وبغض ، وتشتت وضياع ، وتمزق وانقسام ، وصراع دائم بين القوى المختلفة من أجل البقاء .

وقد صور لنا هؤلاء الشعراء هذه الصراعات فى شعرهم تصوير الذكى الأريب . وكان من هؤلاء الشعراء : "على العمارى" و "الشيخ محمد الشعراوى" و "حسن جاد" و "محمود فايد" و "محمد خفاجى" و "محمد صان الدين" و "يوسف القرضاوى" و "سعد ظلام" و "عبد الغفار هلال" و "أحمد عمر هاشم" و "الشحات أبو ستيت" وغيرهم كثيرون .

فهذا الشاعر "محمد صان الدين" يبدو حزينًا باكيًا لما أصاب المسلمين من انقسام وتشتت وضياع ، ولهو وغفلة .

فالعرب أشبه ما يكونون بالسكران الذى فقد الوعى والإدراك ، وتبلد حسه ، وتعطلت مشاعره ، وأصبح لكل واحد منهم اتجاه يخالف ما عليه غيره ، وأصبح لكل إنسان مطامع شخصية يريد تحقيقها حتى ولو كان ذلك على حساب إخوانه المسلمين .. متفرقين .. منقسمين .. ضائعين .. تغلى صدور بعضهم لبعض بالحقد والعداء .

وقد دفعهم إلى ذلك وجرهم إليه حمق أعمى قلوبهم عن إدراك الحقيقة ، وانقياد طائش وراء ما يقدمه الغرب الحاقد لهم من أفكار مسمومة تؤدى إلى اندلاع الفتن ، واشتعال المعارك بين المسلمين ، حتى إذا ما وهنت قواهم ، وضعف شأنهم ، صاروا لقمة مستساغة يلتهما الغرب بشرهه وغطرسته ولو أن المسلمين رجعوا إلى

دينهم ، لعلموا أنه يرفض ما هم عليه من تفرق وشتات يقود سفينتهم إلى سئ العواقب ، فعسى أن يصحوا ويعودوا إلى الحق قبل أن يغرقوا فى محيط الضلال .

يقول الشاعر من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج محاولاً علاج هذا الواقع[1] :

والعرب فى لهوهم سكرى ... كل له شاغل فى العيش يهواه
مشاعرهم
قد فرقت بينهم أحلام ذى سفه ... فالحقد مشتعل والحمق أذكاه
والرأى منقسم من غير ما سبب ... الحال تفرضه والعقل يرضاه
لكنه خطل ساءت عواقبه ... والدين يرفضه والعرف يأباه
يا ليت أعينهم تصحو فقاربهم ... قد كاد يغرق فالأنواء تغشاه

ويتألم الشاعر "الشحات أبو ستيت" لحال المسلمين المعاصرين الذين يتعرضون للقتل والتدمير والإبادة فى كل بقعة من الأرض على أيدى أعوان الصهيونية العالمية الحاقدة على الإسلام والمسلمين ، والتى تريد أن تعصف بحاضر المسلمين ، وتقتلع ماضيهم بجذوره لترمى به فى هوة النسيان .

والغريب أن قادة المسلمين مازالوا نيامًا ، وكأنهم قد تجرعوا كأس الموت ، أما سواد الناس فهم يمرحون .. ويلعبون .. ويرقصون وقد تجمعت حول أعناقهم كل قيود الذلة والمهانة على أيدى أفاعى الغرب الخبيثة التى لا تعرف النوم أو الاستسلام .

---

١. مجلة الأزهر ، عدد رجب سنة ١٣٨٧هـ ، والأبيات من بحر البسيط التام .

لقد أصبح سلاح المسلمين اليوم هو "ألفاظ الرفض والاستنكار" لما يحدث للمسلمين فى مختلف الديار، وهو سلاح يضر أكثر مما ينفع.

والغريب أننا جربناه كثيرًا قبل ذلك، وتحقق لدينا فساده وفشله .. فهل ينفع بعد ذلك أن نتخذه سلاحًا لأمة تريد الخلاص من عدو متربص ؟!

يقول الشاعر من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج[1] :

أنى السلام وجمر الحرب مستعر ... وأمة الحق تصلى نار مرديها

هاجت عليها ذئاب البغى حاقدة ... تودى بحاضرها ، تجتث ماضيها

تذكى جحيم الوغى فى كل ناحية ... دانت لأحمد والإسلام هاديها

والمسلمون نيام فى بلهنية ... كمن سقاهم بكأس الموت ساقيها

ويمرحون مع الأهواء فى طرب ... ويرقصون وقد هاجت أفاعيها

لا يملكون لدفع الهول من عمل ... سوى كلام يزيد الأمر تمويها

ويشير الشاعر "عبد الغفار هلال" إلى ظاهرة أخرى من ظواهر التردى فى مجتمعنا المعاصر، وهى ظاهرة التقاطع والتنابذ بين ذوى الأرحام والأقارب.

ويتساءل عن سبب مقنع يعلل به انهيار العلاقات بين المسلمين وازدياد تيار الصدود والفرقة بينهم يومًا بعد يوم.

وكيف يصبح الغريب القريب فى المكان صديقًا حميمًا لنا، بينما تنقطع أسباب الوصال بيننا وبين قريبنا البعيد فى المكان.

---

١. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر، ولدى نسخة منها بخطه وتوقيعه، والأبيات من بحر البسيط التام.

إن ذلك كله يدل دلالة واضحة على ما يعانيه المجتمع الإسلامى المعاصر من أزمة التفتت فى الحياة الاجتماعية بين أبنائه ، فقد غلبت المادية على النفوس بصورة مزرية ، حتى أصبح القرش يقدم على الأخ الشقيق أحيانًا !

يقول من قصيدة له فى مناسبة عيد الفطر المبارك عام ١٤١٦هـ[١] :

لم قطع الأرحام يزداد يوما بعد يوم ، وفرقة الضعف بينا ؟
لم يغدو القريب منا بعيدا ويصير البعيد بالقرب خدنا ؟

ولعل من أبرز ملامح التردى ومظاهره فى الفترة المعاصرة : انتكاس القيم فى حياة المسلمين ، وتشوه المبادئ الطيبة ، حتى أصبح الكاذب يوسم بالصادق ، والحليم بالجبن ، والسفيه بالحكمة ، والجاهل بالعلم ، وأصبحت الصراحة فى قول الحق هلكة لصاحبها ، والمراوغة والهروب من قبول الحق فطنة ، وعلامة على الذكاء!

ومجتمع كهذا المجتمع تضيع فيه العبقريات ، وينطفئ نورها ، ويعتلى صرح الوجاهة فيه كل متملق محتال .

يقول الشاعر "حسن جاد" مشيرًا إلى انقلاب الأوضاع ، وبخس القيم ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة المولد النبوى[٢] :

زمن يضيع العبقرى ترفعا فيه ، ويسمو الجاهل المتملق
فالحلم جبن ، والسفاهة حكمة والجهل علم ، والصراحة موبق

١. هذا الضياء – ص ٩٣ ، والأبيات من بحر الخفيف التام .
٢. الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد ، القسم الأول – ص ١٣ ، ١٤ . والبيتان من بحر الكامل التام .

ويتوجه الشاعر "حسن جاد" – أيضًا – إلى السيد الرئيس محمد أنور السادات ، رغبة فى الإصلاح ، فيعلن له : أن شيوع الفساد والانحراف فى مجتمع من المجتمعات مؤشر صريح ، وصوت نذير هذا المجتمع ، وذوبانه فى هوة التردى والضياع ، لذا فالواجب عليه – حتى يضمن لمجتمعه السلامة – أن يضرب بيد من حديد على أيدى المنحرفين والضالين ، الذين يختلسون الثراء ، ويغتصبون لقمة العيش من أفواه الجائعين ، ويعيشون فى الحياة مجردين من يقظة الضمير ، وكل همهم أن يتصيدوا الفرص والمناسبات التى تحقق لهم الغنى والمجد والهيمنة على الحياة حتى ولو مات كل الناس !

فإذا أردنا أن نخلص مجتمعنا من هذه العصابات الضالة ، والشراذم المسعورة ، فما علينا إلا أن نضيق عليهم الخناق ، ونفرض عليهم العقوبات الرادعة حتى يكونوا مثلة لكل من تسول له نفسه العبث بحقوق الآخرين .

يقول من قصيدة له فى مناسبة "الهجرة الشريفة" ١٩٧٦م[1] :

واضرب على يد الانحراف فإنه ... داء يخرب ما نشيد ويفسدُ

من كل مختلس الثراء وناهبٍ ... خَربِ الضمير وناهزٍ يتصيّدُ

يا طالما أغرى الفسادَ تسامحً ... ولَشَدَّ ما ردع الفساد تشددُ

وفى وسط هذا الجو الضبابى المعتم ، يشعر الإنسان المعاصر بالضياع والفشل، ويتطلع بكل نبضة فى جسده إلى منقذ أو مخلص ينتشله من ورطته ، ويمده بالأسباب التى تعيد إلى روحه الحياة .

١. الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد ، القسم الأول – ص ١٦ ، والأبيات من الكامل التام .

والشاعر الأزهرى عندما يصور لنا لهفته إلى المنقذ الذى ينقذ الحياة المعاصرة مما أصابها من عطب وجمود ، فلا شك فى أنه يترجم لنا عن عدم رضاء بهذا الواقع ، وعن رغبته الملحة فى تخطى هذا الواقع بما فيه من ألم ومرارة ، والوصول به إلى المكانة اللائقة بالإسلام والمسلمين ، حيث تنفتح أمام المسلمين كل طاقات الأمل ، وتنزاح عن طريقهم كل العوائق والسدود ، وتختفى من حياتهم هذه المعارك الهزيلة التى ابتعلت كل طاقاتهم زمنًا طويلاً دون جدوى ، ويبدؤن مستقبل جديد تقوم الحياة فيه على أساس من تعاليم الدستور السماوى العادل .

ولا يكاد الشعراء يجدون فى مجتمعاتهم المعاصرة من يعلقون عليه الآمال فى تخليصهم من هذا الواقع المتردى .

لذا نجد الشاعر "محمد صان الدين" يستحضر شخصية الرسول ﷺ متحدثًا إليها باعتباره ﷺ المثل الأعلى لكل المصلحين فى الحياة .

يقول من قصيدته "من وحى المولد الشريف"[1] :

طبيب الناس قد سقمت قلوب ... فذكرها ببلسمك العجيب

فما فى الخلق بعدك من رشيد ... وما فى الأرض غيرك من طبيب

فالشاعر – هنا – يحاول أن يستغل ملامح الشخصية المحمدية – فى جانب إصلاح الحياة – فى توليد الإحساس بالمفارقة لدى المتلقى بين هذه الملامح وبين الجانب المعاصر[2] .

١. أعاصير وأنسام – ص ١٣١ ، ١٣٢ ، والأبيات من بحر الوافر التام .
٢. راجع : استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر ، د. على عشرى زايد – ص ٢١٣ .

واسترشادًا بما سبق ، نجد أن السبب المباشر فى إحساس الإنسان المعاصر بالفشل فى مواجهة أعباء الحياة ، يرجع إلى ابتعاده عن منابع الدين الإسلامى الحنيف الذى يمد أصحابه بالقوة الروحية ، والأمل الوثاب الذى يتخطون به كل مشاكل الحياة وصراعها الذى لا يهدأ .

فالإسلام كان تاج عز ومنعة للأولين حينما جعلوه أساسًا لبناء حياتهم ، فلما أن حدث الجفاء بينهم وبينه ، واتسعت هوة الإعراض عنه ، تأخروا وحل بهم ما حل من ضعف وفساد .

وكان من أسباب تردى الواقع المعاصر للمسلمين إلى جانب ما سبق من أسباب : الذوبان فى تقليد الغرب ، والأخذ عنه دون تمييز بين ضار ونافع ؛ اعتقادًا منهم أن مشكاة التقدم والحضارة إنما تنبعث منه ، وقد دفعهم إلى ذلك ما رأوه من تقدم علمى فى كافة مجالات الحياة ، مما "دفع المنبهرين به إلى نقل قيمه وفلسفاته وتوجهاته إلى البلاد الإسلامية ، حتى أصبح التغريب دعوة لإعادة تشكيل الحياة على ضوء من المفاهيم الوافدة فى شتى المجالات .

وما التغريب فى الواقع إلا محاولة لمحو الهوية الثقافية للأمة (الإسلامية) وتدمير مقوماتها ، وضع شخصية وطنية عابثة ذات انتماء خداع إلى الغرب .

وهو حرب صليبية مستعرة الأوار ، مجهودها الرئيسى موجه إلى العالم الإسلامى بهدف طمس معالمه ، وخلق مسخ من البشر بعد تدمير الكيان العقائدى والفكرى ، وتبديل نظم الحياة وأنماطها السلوكية[1] .

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ١٢٠ .

وقد حمل لواء الدعوة إلى الترغيب والانهماك فى ثقافة الغرب فى ديار المسلمين أقلام تسيل بمداد الخبث والكره للعرب المسلمين ، من أمثال : "سلامة موسى" الذى كان لا يتورع عن إعلان الكفر بالشرق ، والإيمان بالغرب فى وقاحة وتجرؤ .

حيث يقول : "وكلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له ، وشعورى بأنه غريب عنى .

وكلما زادت معرفتى بأوربا زاد حبى لها ، وتعلقى بها ، وزاد شعورى بأنها منى وأنا منها ، هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سرًا وجهرة ، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب[1] .

ومع أنه كان لهذه الدعوة آثارها السلبية فى البلاد الإسلامية ، فإنه لن يضر الشرق الإسلامى أن يكفر به ملء الأرض من أمثال سلامة موسى ، ومن تابعه من الخارجين على الثقافة العربية الإسلامية .

ولم تكن حركة الشعر المعاصر بمعزل عن هذه الأحداث ، فقد رأينا شعراء الأزهر خاصة يقومون بمواجهة هذا التيار الجارف ، ويحاولون تبصير المسلمين بمساوئه وعيوبه ، حيث لا تصلح مناهج الغرب ان تكون أساسًا لحياتنا ومحورًا لحركتنا .

وهذا الشاعر "يوسف القرضاوى" يبدو متألمًا حزينًا شاكيًا من مجافاة المسلمين المعاصرين لتعاليم القرآن الكريم ، الذى يحمل بين دفتيه الهداية والحماية

١. فصل الدين عن الدولة ضلالة مستوردة ، يوسف العظم – ص ١٨ ، نقلاً عن : اليوم والغد ، لسلامة موسى .

لكل الناس من الانزلاق فى متاهات الضلال والتشرد ، وانحصار تعاملهم معه على عمل "الرقى ، والتعاويذ ، والقراءة على الأموات !

ثم يأتون بعد ذلك فيتطلعون بأعناقهم إلى الرقى والتقدم .. وكيف يتحقق لهم ذلك ، وقد أهالوا على الشرع الإسلامى أكوامًا من التراب ، وعطلوا قيادته لحركة الحياة ، ورموا به فى هوة النسيان !

يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة ليلة القدر[1] :

هذا الكتاب غدا فى الشرق وا أسفا شمسا تضئ ولكن بين عميان !

يحاط بالطفل حرزا من أذى وردى وفيه حرز الورى من كل خسران !

يتلى على ميت فى جوف مقبرة وليس يحكم فى حى بديوان !

فكيف نرقى ومعراج الرقى لنا أمسى يجر عليه ذيل نسيان ؟!

ويتعجب "محمد صان الدين" من هؤلاء الذين جنح بهم الهوى ، وانحرف بهم الفكر ، فراحوا يلتمسون الهداية ممن لا يملكها لنفسه ، ولا يقدر على إعطائها لغيره وكان الأولى لهم أن يلوذوا بالإسلام .. موطن الأمن والأمان ، ودار الرحمة الواسعة لكل الناس .

يقول من قصيدة له فى مناسبة ليلة النصف من شعبان[2] :

ياليت من جنحت به أهواؤه عن نهج ملته يفئ ويقرب

ليحس عند القيظ أن مظلة الـ إسلام كم تحدو عليه وتحدب

١. نفحات ولفحات – ص ٣٩ ، والأبيات من بحر البسيط التام .
٢. أعاصير وأنسام – ص ١٥٤ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

هـــل كـــان إلا رحمـــة قدســـية للنـــاس إن لاذوا بـــه وتـــأدبوا ؟!

ولقد كان من آثار الجنوح إلى تقليد الغرب ، والتطلع إليه فى كل شيء ، وانبهار المسلمين بمدنيته البراقة الخادعة ، أن كثر الفساد فى ديار الإسلام ، وتوافدت على المسلين المحن والخطوب والأرزاء . فانفرط عقدهم ، وتفرق شملهم ، وانحلت عراهم ، وساءت أحوالهم بسبب كثرة النزعات المسيطرة ، والتيارات الهدامة الوافدة عليهم من الغرب الصليبى .

ولن تقوم للمسلمين قائمة إلا إذا اتحدت كلمتهم ، واجتمع شملهم ، وساروا تحت قيادة الإسلام الحكيمة .

يقول الشاعر "حسن جاد" من قصيدة له نظمها فى مناسبة مولد الرسول ﷺ [1] :

ما بالهم غزت الخطوب شعوبهم وتلاحقت بديارهم أرزاؤها
وعدت على أمجادهم مدنية براقة خدع الغرير طلاؤها
هى دولة الإسلام ليس لمجدها عود إذا لم يتحد زعماؤها
كلا ولن تقوى إذا لم تأتلف صفا ووحد شملها أبناؤها

وينتقد "محمد صان الدين" هذا الواقع المؤلم الذى يعيش فيه الإنسان بعيدًا عن رحاب الله ، لاهثًا وراء سراب خادع تراءى له من قبل الغرب ، حتى سحقته

١. الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد ، القسم الأول – ص ٢٤ ، والأبيات من الكامل التام .

الحياة ، وركضته الأيام بحوافرها القاسية ، وهو غافل عن أنه يملك بين يديه أسباب الأمان ، وطوق النجاة .

لقد تجرع الإنسان المعاصر غصص الألم والمرار ،منذ أن هام على وجهه متطلعًا إلى الغرب يقلده فى كل شيء ، ورغم أنه قد أروى غروره بعض الشيء بما حقق لنفسه من الغنى والثراء ، ومخالطة متع الحياة ، إلا أنه دائمًا يئن بالشكوى والألم ، ويشعر بالقلق النفسى والحيرة والغربة والاضطراب ؛ نظرًا لاتساع الهوة بين فطرته السليمة وبين واقعه المريض الذى يعيش بين أحضانه غارقًا فى متهات الإثم والفجور والمعصية .

وما حدث له ذلك ، إلا بسبب سوء تفكيره ، واغتراره بالظاهر البراق الخادع الذى دفعه إلى أن يطرح قارورة الدواء زهدًا فيها ، حتى افترسته الأمراض القاتلة ، وتاه فى الظلمات ، وحل به الشقاء والدمار والبوار!

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ... ﴾[1]

يقول من قصيدته فى مناسبة "الهجرة الشريفة" مصورًا ذلك[2] :

العالم المفتون يركض لاهثا ... فى القفر خلف مضلالات سرابه

وهيم فى تيه الضلال فيجرع الآ ... لام والأحزان بين شعابه

المال ملك يمينه والعلم حـ ... ـكر شماله والجاه تحت ركابه

يا ويحة ما باله يشكو الظما ... وكئوسه ملآى بحلو شرابه

---

١. سورة طه ، الآية ١٢٧ .

٢. أعاصير وأنام – ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

مـــا بالـــه مستوحشـــا فـــى ســـربه شـــرقا يغـــص بريقـــه ولعابـــه[1]

عـاف الـدواء وصـد عـن فلـك النجـا ة فظـــل يحيـــا فـــى ألـــيم عذابـــه

إن الـــذى قـــد نـــد عـــن مـــدد الســـما ء وتـــاه فـــى الـــديجور عـــن أســـبابه

غـــول الشـــقاء تنوشـــه حتـــى ولـــو كانـــت ملـــوك الجـــن مـــن حجابـــه

وليس معنى ما قدمناه أننا نغلق الأبواب فى وجه الثقافة الأوربية ، ونرفضها كلية ، فنحن نقبل منها كل ما هو جيد وحسن ، وكل ما ليست فيه مضرة لنا فى عقائدنا وأخلاقنا وظروف معيشتنا ، فإذا كان منها شيء فيه إفساد لأصالتنا ، أو تغيير لملامح شخصيتنا الإسلامية ، أو إهدار لكرامتنا ، أو الهبوط بنا فى مهاوى السقوط والتردى ، كان الرفض الصريح ، وكان الهجوم المضاد لكل تلك الأفكار.

هذا ، وقد كان "الغزو الفكرى" من أكبر الأسباب التى أدت إلى تردى الواقع الإسلامى المعاصر ، بجانب ما قلنا به من التطلع إلى ثقافة الغرب والذوبان فيها .

فأعداء الإسلام عندما استيئسوا من وقف تياره الزاحف فى الأرض عن طريق الحروب والغارات ، أخلدوا إلى طريق آخر ، رأوا فيه شلاً لحركة الإسلام والمسلمين ، وتبويرًا لأرض المسلمين حتى لا يخرج منها نبت صغير يقوى فيستطيع المواجهة أو التحدى .

وكان "الغزو الفكرى" هو الطريق الذى استراح إليه أعداء الإسلام ، ونحن نعلم أن الغزو الفكرى داء عضال "يعمل لإذابة الشعوب ، وانسلاخها عن عقائدها ، ومذاهبها ، وحضاراتها ، لتصبح مسخًا شائهًا تابعًا لغيره ، يؤمر فيطيع .. ولقد عمل

١. فى سربه : فى نفسه أو عشيرته .

هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية وخداعها والتمويه عليها ، وقلب الحقائق ، وتشويه الحقيقة عن طريق زخرفة القول ، والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف والاستغفال لإغرائه ، والإيقاع به ، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة ، وصحة المفهوم المزيف ، الذى تحمله كلمات الغزو"[1] .

وكم عانت الأمم والشعوب الماضية من ويلات الغزو الفكرى الذى يوحى إلى الناس زخرف القول غرورًا ، تحقيقًا لأهدافه من تمزيق الشمل ، وانفصال الروابط ، واستحسان الفساد ، ثم السقوط فى الهاوية .

وإذا كان الغزو الثقافى قد وجد قديمًا ، لإغن تأثيره كان ضعيفًا ؛ لأن المجتمع الإسلامى كان على وعى كامل بحقائق الدين الإسلامى ، عارفًا لما يحيط به من أفكار مسمومة ويعرف كيف يردها فى وجه أصحابها .

أما اليوم ، فإن الغزو الفكرى يعد من أخطر القضايا وأشدها أثرًا فى حياة المسلمين ، إذ إن "السلاح الذى يستعمله الغزو الفكرى مدمر قتال ، يؤثر فى الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع ، والصاروخ ، والطائرة ...

والخطر الذى يحتجنه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد ، بل من قتل جيل بأسره ، إذا يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة ، والسلاح الذى يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم ، والخديعة فى العرض"[2] .

---

١. الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى ، د. أحمد عبد الرحيم السايح – ص ١٤ .
(هدية مجلة الأزهر المجانية ، عدد جمادى الأولى سنة ١٤١٤هـ) .
٢. الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى ، د. أحمد عبد الرحيم السايح – ص ١٥، ١٦ .

فإذا وافق كله ضعف فى الوازع الدينى فى حياة المسلمين المعاصرين ، وجهل بتعاليم الدين الإسلامى ، وموت للغيرة عليه ، كان خطر الغزو الفكرى أو هى حرارة وأشد لذعًا ، وأعمق جرحًا من غيره .

وقد وقف شعراء الأزهر المعاصرون من هذا موقف الرافضين له ، المبينين لحيله وخداعه أمام الوعى المعاصر ؛ حتى لا تزل الخطا ، ولا تنحرف عن القصد ، وحتى لا يتساقط الناس حوله تساقط الفراش على النار مغرورين بطلائه البراق الخداع .

فهذا الشاعر "حسن جاد" يصور لنا وقوف المعاصرين عاجزين أمام تيارات الغزو الفكرى الوافدة من الغرب ، ووقوعهم فريسة سهلة له ، بسبب فراغهم الدينى ، وعدم اعتصامهم بدستور الأخلاق الذى يتمثل فى القرآن الكريم .

لقد بدا الشرق الإسلامى تجاه الغزو الثقافى فى صورة مزرية ، فقد فشت فى مجتمعه الأمراض ، وكثرت الآفات ، وهو مازال يخلد إلى الصمت ، ويتعلل بالوعود الكاذبة .

ولو أن الأخلاق عادت إليها ينابيع الحياة بين أبنائه ، لعادت إليه عزته الضائعة ، وسما بنفسه منتزعًا إياها من بين براثن الضياع ، واستقام له متن الحياة.

يقول من قصيدته فى مناسبة عيد رأس السنة الهجرية مشيرًا إلى ذلك[1] :

والشـــرق مغلـــوب القـــوى أســـوان يرســـف فـــى القيـــود

دب الفســـــاد بـــــه وأوهـــــن عزمـــــه طـــــول الرقـــــود

١. مجلة الأزهر ، المجلد الثالث والعشرون ، سنة ١٩٥١م – ص و ، ز ، والأبيات من الكامل المجزوء .

لـــم يجـــن مـــن آفاتـــه غيـــر الأمـــانى والوعـــود
لـــو تـــنهض الأخـــلاق فيـــه لعـــاد فـــى عـــزم الأســـود
وســـما إلـــى مـــا يرتجيـــه وأثمـــرت كـــل الجهـــود

ويبدو الشاعر "محمد صان الدين" مهمومًا لما حل بديار المسلمين من تدهور وتأخر بسبب شعارات الغزو الفكرى الآثمة التى لا تنفك تصرخ فوق رؤس العباد ناشرة سمومها وهمومها فوق كل الربوع .

فقد أصبحت بلاد المسلمين كئيبة يخيم عليها الحزن والألم ، وتولول بين جنباتها أعاصير الشقاء والدمار ، وانتشرت فيها كثير من الأفكار الخاطئة ، والمعلومات المزيفة عن الإسلام والمسلمين ، كما ظهر بين المسلمين كثير من أهل النفاق والمكر والخديعة ، الذين يسعون إلى تحقيق مآربهم ومصالحهم واضعين مصالح المسلمين تحت نعالهم .

لقد أصبح المسلمون فى بلادهم مذهولين من كثرة ما نزل بهم من كوارث وبلاء ومحن ، وكأنهم فقدوا الوعى والإدراك .

ولعل هذا هو ما يهدف إليه الغزو الفكرى ، أن يصنع بشرًا ضائعًا ليس له اتجاه ، وليس له هدف فى الحياة .

يقول الشاعر من قصيدته "عبرة وعبرة" فى مناسبة "الهجرة" مصورًا لنا هذا الجانب [1]:

١. اعاصير وأنام – ص ١٤٨ ، والأبيات من الكامل التام .

هـــذى بـــلاد المســـلمين كئيبـــة فيهـــا أعاصـــير الشـــقاء تولـــول
وتنوشـــها مـــن كـــل صـــوب أســـهم مسـمومة تصـمى الصـدور وتقتـل
أفضـــى إليهـــا الطـــامعون ، فـــذا يجـــا هـــر بالعـــداء وذاك خـــب يختـــل
والمسـلمون مـن الطـوارق والجـوا رح حـــائرون كـــأنهم لـــم يعقلـــوا
يـــا للهـــوان ويـــا لســـخرية الزمـــا ن أيســـتذل ويســـتباح الأمثـــل ؟!

وما تخلف حال المسلمين ، واغتالتهم تيارات الغزو الثقافى الوافدة ؛ إلا لأنهم ضعاف متواكلون ، وأهل غفلة وسهو ، زعموا أن العزة فيما نادى به الغرب فهرعوا إليه تاركين دينهم على قارعة الطريق ، فاستحقوا بذلك أن يهووا إلى قاع الحياة ، ولن تقوم لهم قائمة إلا إذا تخلوا عما هم فيه من عطب وخمول ، وحموا أنفسهم بقوة الإيمان ... الذى تعضدة قوة السلاح يقول :

مـــا هـــان إلا هـــين فـــى نفســـه متواكـــل فـــى أمـــره مســـتغفل
والمســـتعز بغيـــر عـــزة دينـــه يهوى إلـى الدرك السحيق ويسفل
فـــدع الشـــكاية والنحيـــب فإنـــه لا يســـترد الحـــق إلا المنصـــل

ومما هو جدير بالعناية ، أن ندرك أن العداء الصليبى للإسلام ، كان هو الدافع الأساسى وراء موجات الغزو الفكرى التى تدفقت على بلاد المسلمين ، وقد أصبح هذا العداء لدى دول أوربا الصليبية يشبه المرض العضال الذى تتطاير منه السموم يميناً وشمالاً ، حتى إن هذه السموم القاتلة ، والأفكار المدمرة قد ملأت الطريق بالأشواك أمام طلاب الحق والباحثين عن الحقيقة .

وكان الهدف من وراء ذلك لله : هو اقتلاع شجرة الإيمان ، وانتزاعها بشدة من قلوب المسلمين ، وبذلك يتساقطون أمام مخططاتهم الاستعمارية الماكره .

يقول الشاعر "على العمارى" شاكيًا إلى الرسول ﷺ هذا الوضع البغيض من قصيدة له فى مناسبة "المولد النبوى الشريف"[1] :

يـا نبـى الهـدى إليـك شـكاتى ... مـن أفـاع بعيـدة الآمـاد

نفثـت فـى العقـول منهـا سـموما ... وارتضـاها الأجـداد للأحفـاد

بـدع غبـرت علـى الرائـد الحـق (م) فنـد الهـدى علـى الـرواد

ونتيجة لذلك ، أصيب بعض المسلمين بانحراف سلوكى ، وتجرؤ على محارم الله ، ومروق عن الدين ، حتى أصبح المجتمع مستنقعًا للأوبئة ، والأمراض الفتاكة .

يقول الشاعر "أحمد عمر هاشم" من قصيدة له فى مناسبة الإسراء والمعراج[2]

يـا صـاحب الإسـراء أد ... رك معشـرا ضـاعوا سـدى

مـن مـارق بالـدين أفـا (م) ك يعـيش معربـدا

كـم راح ينتهـب الخطـى ... وعلـى محارمـه عـدا

وقد ترتب على تلك الحملات الفكرية الكثيرة على بلاد المسلمين : شيوع الفوضى ، والهمجية بين المسلمين ، وانتشار الكثير من الأمراض الاجتماعية الفتاكة التى غيرت ملامح الشخصية الإسلامية ، فالجاه بين المسلمين ما هو إلا قرابة أو شفاعة عند أولى الأمر ، أما ضعاف الناس فأمرهم إلى تشرد ، وحقوقهم إلى ضياع

١. مجلة الأزهر ، المجلد الرابع عشر سنة ١٣٦٢هـ - ص ١٧٢ ، والأبيات من الخفيف التام .
٢. نسمات إيمانية – ص ١٧ ، ١٨ ، والأبيات من جزوء الكامل .

ولم يصبح الكفء فى المجتمع الإسلامى هو الذى يستطيع القيام بما كلف به من أعمال ، وإنما أصبح الكفء هو من يجيد التهريج والتصفيق وتشجيع الطغاة والظالمين .

أما المناصب العليا فى الدولة ، فقد استطاع المقى والجهلاء أن يصلوا إليها عن طريق الرشوة والوساطة ، فإذا ما أراد شريف أن يقتحم أحد هذه المناصب ، وضعت فى طريقة كل العوائق والمعوقات ، وهذا مما عمت به البلوى فى ديار المسلمين .

وقد أدى هذا الوضع بدوره إلى ضياع الحقوق ، وانتشار الظلم ، وشيوع الفساد بصورة تنذر بالخطر .

يقول الشاعر "حسن جاد" من قصيدته فى مناسبة مولد الرسول ﷺ [1] :

يا رب هذا الغرب فى غلوائه ... غاض الوفاء به وضاع الموثق

والشرق من أخلاقه فى محنة ... تودى بآمال الشعوب وتوبق

الجاه فيه : قرابة وشفاعة ... والكفء فيه مهرج ومصفق

وبه يضيع العبقرى ترفعا ... ويفوز فيه الجاهل المتملق

لقد أصبح كل واحد من المعاصرين مشغولاً بمصلحته الخاصة ، متلهفًا إلى تحقيق المجد والسلطان حتى ولو كان ذلك على حساب الدين ، وهذا الأمر من جملة ما يرمى إليه الغزو الفكرى من أفكار هدامة بين المسلمين ، إنه يريد أن يجعل من المسلم وحدة مستقلة لا صلة لها بالآخرين .. وعلى المستوى الأكبر فقد جعل الغزو

١. الأزهر ، المجلد الثالث والعشرون سنة ١٩٥١م – ص ٣٣١ ، والأبيات من الكامل التام .

الفكرى بلاد المسلمين أممًا بعد أن كانوا أمة ، وجعلهم شيعًا وأحزابًا بعد أن كانوا وحدة يخشى بأسها ، تحقيقًا للمبدأ العام عندهم "فرق تسد" وليت المسلمين المعاصرين يفيقون ، ويستشعرون الخطر الذى يدق الأجراس فوق رؤسهم وهم نائمون لاهون !

يقول الشاعر "محمد صان الدين" من قصيدته فى مناسبة الإسراء والمعراج[1]

والعرب فى لهوهم سكرى كل له شاغل فى العيش يهواه !
مشاعرهم

قد فرقت بينهم أحلام ذى سفه فالحقد مشتعل والحمق أذكاه

ياليت أعينهم تصحو فقاربهم قد كاد يغرق فالأنواء تغشاه

هذا ، والجدير بالذكر – هنا – أن نشير إلى أن موجات الغزو الفكرى للشرق الإسلامى ، قد حملت إليه فيما حملت الكثير من المذاهب المادية ، والأفكار الفلسفية الهدامة التى لا تزال تمثل خطرًا داهمًا على الإسلام والمسلمين حتى اليوم .

وأساس هذا المذهب المادى أنه "يعنى بكل ما يدرك بالحس ، وينشأ عن التجارب المادية ، ويلغى كل اعتبار لمعرفة أو توجيه لا يخضع لتجربة الإنسان المادية ، وعلى ذلك ألغى اعتبار المثل والقيم والرفيعة فى حياة الناس ، كما ألغى رسالة الدين فى توجيههم نحو الله"[2] .

لأجل هذا ، وجدنا كثيرًا من النداءات والشعارات التى تنادى باستبعاد القيم الدينية ، وكل ما يتصل بالرسل الكرام من معجزات وخوارق على اعتبار أنها غير

١. مجلة الأزهر ، عدد رجب سنة ١٤١٥هـ ، والأبيات من بحر البسيط التام .
٢. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ١٤٢ .

خاضعة لعقل الإنسان وتجربته العملية ، وقد ازدادت حدة هذه الموجه فى الربع الأخير من القرن العشرين ، معلنة بذلك عن حالة التردى التى يعانى منها الإنسان المعاصر[1] .

ولم نعدم من شعراء الأزهر المعاصرين من يشير إلى ذلك ، وينصح المسلمين بعدم الانخداع بهذا البريق الخادع .

فالإنسان المعاصر عندما تشبع بالمذاهب المادية ، والأإلكار الفلسفية الحانقة على الإسلام ، اعتد بقوته وجبروته ، وعدته وعتاده ، حتى ظن أنه قادر على كل شيء، وأقام على أثر ذلك الخصومة بينه وبين الله حتى سحقته الحياة بين راحتيها.

يقول الشاعر "حسن جاد" من قصيدة له فى مطلع عام هجرى مشيرًا إلى شيء من ذلك[2] :

رب زلت عقولنا فشططنا ... واعتززنا بنصلنا فتكسّرْ

وإذا جرد الحسام ضعيف ... فعلى نفسه يصول ويشهر

رب ضلت آمالنا فابعث النو ... ر نسر فى هداك لا نتعثر

رب حارت عيوننا فى نواحى الأفق ... فارحم عناء طرف تحير

لقد أقدم الإنسان المعاصر على ما أقدم عليه بدافع من غروره ، ووازع من هواه، مخدوعًا بما يقدمه الغرب له من أسباب الابتعاد عن الله ، حتى وجد نفسه فى

---

١. المصدر السابق – ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
٢. مجلة الأزهر ، المجلد الرابع عشر سنة ١٣٦٢هـ - ص ٩٣ ، والأبيات من الخفيف التام .

الساحة وحده يحيا بلادين ، وبلا هوية ، منسلخًا من كل قيم الأصالة الإسلامية ، فاستحق بذلك أن يكتب عليه الشقاء ، وتحل به الحيرة .

يقول الشاعر "محمد صان الدين" من قصيدة له قالها فى مناسبة "المولد النبوى الشريف" ناعيًا على الإنسان المعاصر ما وصل إليه حاله من ضياع وتمزق[1] :

قل للذى عنها تنكب وارتضى ... فى العيش سيرا فى طريق الظلمة

أغراك يا مفتون فيها بارق ... مثل السراب جناه شوك الحسرة

إن الذى يحيا بلا دين حقي ... ـقى تردى فى غياهب شقوة

ومباهج الدنيا – وإن فاضت على ... أهل الغواية – متعة فى لحظة

ويصرخ "يوسف القرضاوى" فى وجه المجتمع الإسلامى المعاصر ، معلنًا أن الحياة فيه عادت كيوم أن كانت فى الجاهلية وإن اختلفت الصورة فى بعض أشكالها ، فإذا كان الماضون قد اتخذوا الأصنام آلهة من دون الله ، فإن المعاصرين قد اتخذوا الهوى لهم ألهًا ، ولم يعد الحاكمون يحرصون على حياة الشعوب أو يعملون لمنفعتها ، وإنما تفننوا فى تضليل الشعوب كما يضلل المفلس الصبى الصغير بالحيلة حتى يفلت من تقديم شيء له .

فالحاكم لا يعنيه شيء سوى الحفاظ على الكرسى الذى يجلس عليه ، أما الوطن فإنه قربان يقدمه من أجل البقاء فى منصبه .

---

١. مجلة الأزهر ، عدد ربيع الأول سنة ١٤١٦هـ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى عام ١٩٥٠م[١] :

فالنـاس قـد تخـذوا الأهـواء آلهـة ... إن كان قد تخذ الماضون أوثانا

الشـــعب يعبـــد قـــوادا تضـــلله ... كمـا يضـل ذو الإفلاس صـبيانا

والحـاكمون غـدا الكرسـى ربهـم ... يقـدمون لـــه الأوطـــان قربـــان

سياسة الكل أن يبقى الورى سمكا ... وأن يكونـوا همـو فـى البحـر حيتانـــــــــــــــــــا

وعلى أثـر الـذوبان فـى هـوة متاهـات المـذاهب الماديـة ، والأفكـار الفلسـفية الهدامـة – التـى أبعـدت كثيرًا مـن النـاس عـن اللّه – يشعر الإنسـان المعاصـر بقسوة موجـات الضيـاع والتمـزق التـى تنتابـه مـن كـل جانـب ، حتـى امتلأ قلبـه باليـأس ، وتشبعت نفسه بالإحباط ، وما ذلك إلا لأنه اعتز بغير دينه ، وبنى على غير ملكه .

فـالعيش بعيـدًا عـن رحـاب اللّه يـورث العبـد القلـق النفسـى والاضـطراب والخوف ويجعله يشعر بالضياع والغربة وإن كان بين أهله وفى أحضان ذويه .

لذا يغتنم الشاعر "محمد صان الدين" مناسبة عيد من الأعياد ، ويقف يخاطبه ويطلب منه أن يؤلف بين القلوب المتنافرة ، والنفوس المجروحة بكثرة ما لاقت من بلاء ومحن ، كما يطلب منه أن يمحو اليأس وينتزعه من قلوب المسلمين المعاصرين، ويملأ نفوسهم المقفرة بالأمل المشرق ، والبسمة الآملة .

١. نفحات ولفحات – ص ٤٣ ، والأبيات من البسيط التام .

يقول الشاعر[1] :

يا عيد ألف ما تنافر من قلو ب نالها بالجائحات تفرق

فالحب فى الإسلام شرع لا يقص (م) جناحه إلا الغبى الأحمق

يا عيد وامح اليأس بالآمال تُزْ هُر فى النفوس المقفرات وتورق

وارفع إلى رب العباد دعاءهم بالصالحات لعله يتحقق

هذا ، وكان من أسباب تردى الواقع المعاصر – بالإضافة إلى ما سبق – ما منى به الشرق الإسلامى من سياسة القهر ، وتكميم الأفواه ، وكبت الحريات ، يعبر عن ذلك البيت الذى نطق به حافظ قديمًا :

إذا نطقت فقاع السجن متكأ وإن سكت فإن النفس لم تطب[2]

وقد اعتلى عرش مصر على مدار التاريخ فراعنة متوحشون ، وطغاة ظالمون ، وهؤلاء سيطروا على الشعوب ، وفرضوا عليهم سلطان تفكيرهم وتدبيرهم ، فكانت الكلمة النافذة لهم ، وكان الخضوع والخنوع للشعب والمجتمع .

وكان المتمردون على السياسة من أفراد المجتمع يقابلون بالقمع والإبادة إذا تحركت فى نفس واحد منهم عوامل اليقظة والوعى .

١. أعاصير وأنسام – ص ١٧٠ ، والأبيات من بحر الكامل التام .
٢. ديوان حافظ إبراهيم ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٨م – ص ل .

وقد اتخذ الحكام الطغاة هذه السياسة سلاحًا لهم يشهرونه فى وجه كل متطلع إلى الحرية أو التدخل فى الأمور السياسية للمجتمع ؛ ضمانًا لشل حركتهم ، وإسكاتًا لألسنتهم ، وكبتًا لحرياتهم .

"والبطش فى كل صورة وألوانه يفجر فى القلوب كوامن الثورة والغضب ويحيى روح المقاومة ، ويحفز الأحرار إلى الجهاد ضد الطغيان .

وقد شهدت الحياة المعاصرة فى أماكن كثيرة من مجتمعات الإسلام قسوة كثير من الطغاة ، الذين ألهبوا ظهور الحياة ؛ بغيًا وعدوانًا على الآخرين ، فامتلأت السجون بعدد كبير من دعاة الحق الذين تعرضوا للفتك والإبادة وتعرضت كلماتهم للقمع والمصادرة"[1] .

والحق أننا عندما نقرأ نجومًا من شعر المناسبات الدينية لدى شعراء الأزهر المعاصرين نشم من أشعارهم روائح من تلك المعاناة القاسية ، ونستشعر هذا الألم الأليم الذى يتعرض له المخلصون من أبناء الوطن ، والذى يصيب النفوس باليأس والإحباط من محاولة الإقدام على حل مشكلات الواقع المعاصر ، ويدفعها إلى أفنسحاب بعيدًا عن هذا التيار الصاخب ، وإيثار الهدوء والاستقرار .

لأجل هذا ، كانت أصوات الشعراء تصل إلينا مختنقة تضج بالشكوى ، وتقطر ألمًا من تلك الأغلال الثقيلة التى تكبل حرياتهم ، وتخنق الكلمة الجريئة فى أفواههم .

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ١٣٤ .

وعلى الرغم من شدة الحصار، وقسوة الأحكام، نجد الشاعر "يوسف القرضاوى" ينتقد تصرفات الحكومة المعاصرة انتقادًا ممتزجًا بروح الشكوى والألم، فالسياسة المعاصرة – فى نظرة – تقف من المتدينين موقفًا غير جميل، إذ تتتبعهم فى كل مكان، وتضع فى طريقهم العوائق، وتفرض عليهم العقوبات والأغلال، وتطلق عليهم الشائعات الباطلة، من أجل تشويه صورهم، والتقليل من أقدارهم.

وحين تقف السياسة المعاصرة من المتدينين هذا الموقف، نراها تطلق العنان لأصحاب المجون والخلاعة، وتيسر لهم أماكن الفحش والعهر التى تضج بالفساق والمجان وأصحاب الأمزجة المختلة حتى الصباح.

أما المساجد التى هى بيوت الله فى الأرض، فقد حكمت بإغلاقها عقب كل صلاة، كما منعت الاجتماع فيها لتدارس أى الذكر الحكيم !!

يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة ذكرى المولد النبوى عام ١٩٥٠م مشيرا إلى تلك الأوضاع[١] :

نشكو إلى الله أحزابا مضللة ... كم أوسعونا إشاعات وبهتانا

ما زال فينا ألوف من أبى لهب ... يؤذون أهل الهدى بغيا ونكرانا

نشكو إليك حكومات تكيد لنا ... كيدا، وتفتح للسكسون أحضانا

تبيح للهو حانات وأندية ... تؤى ذوى العهر شرابا ومجانا

فما لدور الهدى تبقى مغلقة ؟ ... يمسى فتاها غريب الدار حيرانا

١. نفحات ولفحات – ص ٤٤، والأبيات من البسيط التام.

ويصرخ "القرضاوى" فى وجه هذا المجتمع الذى اختفت فيه ملامح السلام ، وانعدمت فيه سبل التفاهم ، واتخذ الحكام فيه القوة وسلطانويصرخ "القرضاوى" فى وجه هذا المجتمع الذى اختفت فيه ملامح السلام ، وانعدمت فيه سبل التفاهم ، واتخذ الحكام فيه القوة وسلطان القهر سلاحًا لإسكان الناس ، وتكميم أفواههم عن النطق .

فلقد ضاع السلام كما يضيع اليتيم بين أوصياء خونة ، وأصبح الحق والعدل على الأوراق فقط ... أما فى الحقيقة فاشباح وخيالات ، وسياط ترغم الناس على الإخلاد والسكوت .

يقول من قصيدته له فى مناسبة ليلة القدر[1] :

يا ليلة السلم والإسلام معذرة ... فالسلم فى مصر والإسلام لفظان

أين السلام ؟ أرونى أين موضعه ... لقد ضاع ضيعة يتم بين خوان ؟

أين الدساتير فانظرها معلقة ... مثل التمائم فى أحضان صبيان

أين الحقوق ولم نلمح لها صورا ... إلا سياطا كأذناب لثيران

وفى هذا الجو المتشبع بروح البغى والظلم ، يشعر الإنسان المعاصر بالحاجة إلى من ينقذه من ورطته ، ويخلصه من ظلم الظالمين ، وعسف المتجبرين ، فلا يجد إلا أن يلوذ بحمى مصدر الأمن لكل الناس ، وهو النبى محمد ﷺ .

١. نفحات ولفحات – ص ٣٩ ، والأبيات من البسيط التام .

وفى هذا الجو أيضا يشعر الإنسان المعاصر بمدى التردى الذى تعانية الحياة المعاصرة ، نتيجة لضياع الحقوق ، وعودة شريعة الغاب التى أصبحت تحكم الناس بمنتهى القسوة والجبروت .

يقول الشاعر "حسن جاد" شاكيًا إلى الرسول هذا التردى من قصيدة له قالها مناسبة الهجرة[1] :

يا نصير الحقوق قم فانظر اليوم ترى الحق يستباح ويهدر

شرعة الغاب أصبحت تحكم الد دنيا بناب مخالس الفتك أصفر

ويحاول بعض الشعراء الأزهريين فى الفترة المعاصرة ، أن يضع حلولاً أو يصف علاجًا لهذا الواقع المتردى ، والذى قد سبق أن أشرنا إليه .

فهذا الشاعر "عبد الغفار هلال" يرى أن الحل الأمثل : هو عودة المسلمين إلى الوحدة التى تجمع الشمل وتلم الشتات ، وتزول فى داخلها الأحقاد والضغائن .

يقول من قصيدة له فى مناسبة عيد الفطر المبارك عام ١٤١٦هـ[2] :

وحدة المسلمين تجمع شملا كأسود العرين بأسا وحصنا

لو درى المسلم الصدوق حسابا لمحا فى ساحة العفو ضغنا

بصلاة وصوم شهر كريم وزكاة وحج بيت أمرنا

١. مجلة الأزهر ، عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ - ص ٣٩٧ ، والأبيات من الخفيف التام .
٢. هذا الضياء – ص ٩٣ ، والأبيات من بحر الخفيف التام .

ويذكر "الشعراوى" المسلمين بوجوب العودة إلى الجهاد الإسلامى فى ظل الظروف الراهنة التى يأكل فيه الكبير والصغير ، ويتهادى الأقوياء بالضعفاء ، وكأنهم ماشية تساق إلى مصير أسود محتوم .

كما أنه يعلن أن الرجوع إلى الله فيه الرفعة ، وعلو الشأن ، وصلاح الأحوال .

يقول مخاطبًا الهجرة الشريفة من قصيدته فى مناسبتها[1] :

أيقظى الشرق من سبات عميق ... واحمليه إلى مدار الدرار

علميه الجهاد حزما وعزما ... فجنى النحل من أذى المشتار

علميه أن الحياة صراع ... من سها فيه ظل فى المضمار

علميه أن القوى ظلوم ... كم يهادى كبارهم بالصغار

فقوى على الضلال مقيم ... وقطيع من الضعاف يجارى

ارجعيه إلى الله يرجع إليه ... جل سلطانه رفيع المنار

ويرى الشاعر "حسن جاد" أن علاج الواقع الإسلامى المتردى يكمن فى الأخذ الفعلى بأسباب القوة وبناء النفس والمجتمع ، وترك الخطب الرنانة التى لا تفيد فى ميدان الحياة الصاخب بالمذاهب والتيارات الفكرية المختلفة .

فالحق الضائع ، والحال الراهنة ، لا يقوم بعلاجها خطبة حادة اللهجة ، أو قصيدة باكية نادبة .

يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف عام ١٩٧٥م[2] :

١. مجلة الأزهر ، المحرم ١٤١٩هـ - ص ١١٠ ، والأبيات من الخفيف .
٢. الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد ، القسم الأول – ص ١٣ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

المبحث الثالث

شعر المناسبات الدينية ومواكبة الأحداث المعاصرة

الأمــة العــزلاء أيــن مكانهــا ؟ ... ممـا يصـول بـه القـوى الأخـرق

لا يســترد الحــق فــى أيامنــا ... خطب على خطب الزمان تنمق

والنادبـات مـن القـوافى وحـدها ... لا يشـتفى جـرح بهـا أو يرتـق

السيف أصدق فى الحقيقة منطقا ... إن كـان لا يجدى الحقيقة منطق

فلعـل المسلمين المعاصـرين يتنبهـون إلى مـا فـى هـذه التوجيهـات مـن دعـوة صـريحة لهـم بـالرجوع إلى الله ، حتـى يسـتطيعوا إصـلاح مـا فسـد مـن حيـاتهم ، ويستطيعوا مواجهـة تحـديات الحيـاة المعاصرة ، ومقابلـة الفكـرة بـالفكرة ، والـرأى بـالرأى ، فتنـزاح عـنهم أشـباح التـردى والضـياع التـى أفقـدت الشخصـية الإسـلامية المعاصرة الكثير من ملامح الأصالة والخير .

الحيـاة كلـها حـروب ومعـارك ، وانتصـارات وانكسـارات ، وغالـب ومغلـوب ، ومنذ أن ظهرت الدعوة الإسلامية على صاحبها السلام ، والحرب دائرة عليها وعلى أصحابها .

وقد تسببت كثرة الاستفزازات فى دخول المسلمين – على مدار التاريخ – فى حروب دامية ، كان النصر حليفهم فيها .

وكـان مـن أعظم تلك المعـارك القديمـة : معركـة القادسـية عـام ١٤هـ ، وفيهـا انهارت الدولة الفارسية أمام قوة المسلمين الضاربة .

ثم كانت معركة "اليرموك" وفيها انتصر الجيش العربى الإسلامى ، وأذاق الروم خلالها الذل والهوان .

ثم كانت معركة "عين جالوت" الخالدة بنصرها المجيد ، الذى أنقذ الأمة العربية والإسلامية من الدمار والضياع والتشتت الذى حل بالبلاد والعباد على أيدى جحافل التتار المخربة المدمرة .

وفى العصر الحديث ، وبعد أن بدأ المسلمون يشمون هواء الحرية بعد زوال كابوس الاستعمار عن بلادهم ، عاد الاستعمار فى صورة معارك فكرية حادة ، تهدف إلى السيطرة والتحكم فى عقول وأفكار أبناء الأمة الإسلامية ، وتوجيهها الوجهة التى تخدم أهدافها الطامعة ، كما تهدف إلى القضاء على الإسلام ، وتمزيق شمل المسلمين حتى لا تتحقق لهم وحدة فى الحياة .

"ولم يرق هذا التسلط الممقوت لكثير من الشعوب ، خصوصًا بعد أن أدركت خطورة البقاء فى دور التابع الذليل ، وأدركت بوعيها أهدافه ومراميه .

ولم يكن من الممكن الرضا بالأمر الواقع ، أو الاستكانة له مع نمو الوعى ، وازدياد الإحساس بضرورة الصمود .. بل والتحدى بالتصدى"[1] .

وعلى أثر ذلك ، كثرت الحروب والمنازعات ، وكثرت الهزائم والانتصارات ، وسقط ألوف من الشهداء فى ميادين الوغى فى كل بقعة من بقاع الإسلام .

هذا ، وقد واكب الشعراء الأزهريون فى الفترة المعاصرة – من خلال شعر المناسبات الدينية – المعارك والأحداث التى هزت وجدان الأمة ، وكان لها أثرها فى تغيير وجه الحياة .

---

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر : أ.د. صفوت زيد – ص ١٥٥ .

وكان من أهم الانتصارات التى أشاد بها شعراء الأزهر المعاصرون و انتصار السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م ، فقد عاش العرب فى حروب ومعارك مع إسرائيل خلال ربع قرن من الزمان ، وكانوا يخرجون من هزيمة إلى هزيمة أشنع وأفظع حتى صاروا إلى حال من الضياع كانوا بها فى يأس من أنفسهم ، وكان الناس ينظرون إلى العرب فى ذلك الوقت ، فيقدرون أن أمرهم قد ولى وذهب ، وأن جوادهم قد كبا فى الطريق .

أما إسرائيل و فقد كانت على قمة الموقف شراسة وصلفًا وغرورًا ، تقف فى الشمال على قمة الجولان ، وفى الجنوب على امتداد القناة تعربد فى غير مبالاة ، وكانت تزعم أنها القوة التى لا تغلب ولا تقهر ، وأنها إنما خلقت للنصر لا للهزيمة .

"وشاءت إرادة الله تعالى أن ترتفع راية الحق بعد أن نكست ، وأن تتحرر الأرض بعد أن دنست ، وأن يذوب الصمت الحزين فى كل القلوب ، وأن يتفتت الكمد القاتل الذى عاشته الحياة الإسلامية بكل الأسى والحسرة بعد هزيمة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧م"[1] .

فكان أن هاجت المشاعر الإسلامية فى كل مكان ، وتحركت لتنقذ نفسها من محيط اليأس والإحباط الذى يحيط بها ، وكان أن اتخذت لنفسها الجهاد سلاحًا ، وتخطت العقبات ، وأزالت كل السدود حتى تحقق لها النصر الذى بهر العالم ، وأذهل الحياة .

"وإذا كانت انتصارات المسلمين قد وقعت على امتداد التاريخ ، ووعاها التاريخ بكل الزهو والفخار ، فإن انتصار العبور فى التاريخ المعاصر يعد من أعظم انتصارات الإسلام فى القرن العشرين ، والتى تستحق التسجيل والتحليل ،

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر : ص ١٧٠ .

والوقوف عندها لالتماس العبر، واستخلاص الدروس لمواجهة التحديات المعاصرة"[1]

فهذا هو الشاعر "عبد الغفار هلال" يتحدث عن انتصار أكتوبر المجيد عام ١٩٧٣م بكل الفخر والزهو، وكيف لا ؟ وهو النصر الذى كتبت عنه الأقلام فأطالت، وتكلمت عنه الألسنة فأجادت، وبه ارتفع لواء الحق على أرض الإسلام، واندحر الباطل بصلفه وغروره، وتبددت أحلامه، وتحطم "خط بارليف" وتبعثرت أشلاء العدو فى صحراء المجهول تنعى حظها الكئيب.

كما يشيد الشاعر بجهود السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك الواضحة فى تحرير الأرض، وتطهير سيناء من أرجاس اليهود، وبقائها مصرية خالصة لكل الأجيال.

يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة "ذكرى معركة بدر الكبرى"[2]:

وسل انتصارا حققته كنانة ... مثلا تذيع حديثه الأقلام

كانت لنا فيه مآثر جمة ... رفعت لواء حفه الإقدام

وهوى العدو بخطه وتبعثرت ... أشلاؤه وتهاوت الأحلام

وجرى على سيناء نور قيادة ... فيها (مبارك) حكمة ونظام

وأتى الأنام مهنئين بنصرنا ... سادت عدالتنا وساد كرام

فلنملأ الدنيا حياة حرة ... وليبق يحمى حوضها صمصام[3]

١. المصدر السابق: ص ١٧١.
٢. هذا الضياء: ص ١٠٥، والأبيات من بحر الكامل التام.
٣. الصمصام: السيف الصارم الذى لا ينثنى (الوجيز، ص ١٧٠، ط ١٩٩٠م).

ولقد كان الإيمان بالله ، والإخلاص له من أقوى العوامل الفاعلة فى انتصار أكتوبر المجيد ، ذلك أن الجندى المسلم انطلق فى معركته متوجهًا إلى الله ، طارحًا كل همومه ومشاكله خلف ظهره ، لا يهمه شيء ، ولا يشغل باله أمر سوى تحقيق النصر ، ورفع راية الإيمان ، وكان الشعار الذى أشعل شرارة الحماس ، وخلق روح الفداء فى قلبه ، هو شعار "الله أكبر" الذى تزلزلت من صداه الأرض تحت أقدام الطغاة الظالمين من الإسرائيليين المغتصبين .

"فالإيمان بالله يصنع النصر ، والتدين الصحيح يمنح الإنسان من عوامل القوة والحركة ما يؤهله لاقتحام الصعاب ، وزحزحة الضباب ، وتحطيم الحواجز والحجب ؛ لأن المؤمن بهذا الإيمان ينطلق ماردًا عملاقًا فى كل ميدان ومجال هدفه أن ينشر نور الله فى ربوع الأرض .

وهذه حقيقة أكدتها وقائع التاريخ القديم والحديث على السواء .. على الرغم من إنكار المنكرين ، وعنت الجاحدين"[1] .

وقد تناول شعراء الأزهر المعاصرون هذا الجانب فى أشعارهم ، مؤكدين عليه، ومبرزين أن قانون الله فى النصر لا يتغير ولا يتبدل

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾[2]

نجد الإشادة بهذا الجانب واضحة فى قول الشاعر "حسن جاد" من قصيدة له فى مناسبة الهجرة النبوية عام ١٩٧٦م[3] .

لــولا العقيــدة مــا اســتمات مقاتــل ... أو راح يبــذل روحــه مستشــهدا

١. صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر : ص ١٧٢ .
٢. سورة محمد : الآية ٧ .
٣. الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد : القسم الأول – ص ١٦ ، والأبيات من الكامل التام .

لـولا سـنا الإيمـان لـم نعبـر إلـى ... سـينا نقتـل فـى العـدو ونحصـد

يـوم أعـاد لنـا الكرامـة أبـيض ... فجـأ العـدو بـه نهـار أسـود

قـد أذهـل الـدنيا صـداه روعـة ... فحـدا بـه الحـادى وغنـى المنشـد

دع مـا يشـيع المغرضـون فإنـه ... حسـد يضـيق بـه الفـؤاد فيحقـد

وإذا خـلا الميـدان مـن آسـاده ... ألفيـت فيـه ثعالبـا تستأسـد

فبالإيمـان تحطمـت أمـام الجنـود المسلمين كـل الأغـلال والقيـود ، وانطلقـوا يحصدون العدو حصدًا ، ويلقنونه دروسًا قاسية على رمـال الصحراء ، فـأذهلوا العـالم وشغلوا الدنيا بنصرهم الكبير ، وكفاءتهم القتالية الفريدة .

لأجل ذلك ، كـان يـوم انتصـار أكتوبر يومًا طيبًا ، يستريح لذكراه كل عربى ، بينما هو يوم نحس ، ونذير شؤم ، ونقطة سوداء فى قلب كل يهودى حاقد .

لـذلك نـراهم يحـاولون التهـوين مـن شـأن هـذا الانتصـار ، والتقليـل مـن قـدره ؛ تفريجًا عما تنطوى عليه صدورهم من حقد دفين ، وألم مقيم .

وإذا كانـت فرحـة النصر تخلـق فـى القلـوب جـوًا مـن الفـرح والسـرور والأمـل ، وتـدفع النفـوس إلى التطلـع إلى تحقيـق المزيـد مـن الإنتصـارات ، فـإن حـزن الهزيمـة والانكسار يقتل الأمل فى النفوس ، ويئد الفرحة فى القلوب ، ويغشى النـاس بغلالـة كئيبة من اليأس والإحباط والسلبية .

وقـد عـاش واقعنـا المعاصـر هـاتين الحـالتين بكـل مصـداقية وواقعيـة والجـدير بالذكر – فى هذا المقام – هو أن نذكر أن الهزائم والانكسارات قد كثرت فى الفترة المعاصرة بصورة لم تتحقق من قبل ، حتى إن بلاد المسلمين قد أصبحت نهبًا لكل طامع ، ولقمة مستساغة لكل جائع .

حتى الدول العربية التى ليست تحت سيطرة الاحتلال ، نجد فيها ما هو أشد فتكًا ، وأعمق تخريبًا فى عقول الأجيال ، وهو ما يتمثل فى الغزو الفكرى الذى هو ضمن سلسلة الاعتداءات الصهيونية الكثيرة على ديار الإسلام وخارج بلاد العرب كثرت أيضًا الانكسارات الإسلامية أمام أمواج الطغيان الجارفة ، فقد كثر صراخ المسلمين فى أفغانستان ، وفى البوسنة والهرسك ، وشبه القارة الهندية .. وغير ذلك كثير وكثير فى العديد من الأماكن الإسلامية فى العالم[1] .

ولعل السبب المباشر فى كثرة الهزائم المعاصرة يرجع إلى : انشغال المسلمين بالمشاكل التى خلفها الاستعمار ، وغفلتهم عن تعاليم الإسلام فى الوحدة والتضامن[2].

ثم لأنهم "صاروا – بسبب ذلك – جزرًا منعزلة ، وأشلاء متناثرة ، ودولاً متنافرة لا تجمعها وحدة هدف ، ولا يوجهها انطلاق إلى غاية"[3] .

وأمام هذه الهزائم المتكررة ، والانكسارات الكثيرة فى الحياة المعاصرة ، لم يقف شعراء الأزهر المعاصرون موقف المتفرج ، وإنما كانت لهم إسهامات كثيرة فى غرس بذور الأمل فى النفوس المؤمنة ، واقتلاع جذور اليأس منها ، كما أنهم ساهموا فى توضيح صورة الحياة المعاصرة بشكل موضوعى ، وقدموا لأمتهم – قدر طاقتهم – من الحلول ما يرونه نافعًا لإصلاح حالهم ، والعودة بهم إلى سابق عهدهم ، حيث القوة ونفاذ الكلمة .

---

١. راجع : صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ١٨٤ وما بعدها .
٢. راجع : الإسلام فى مواجهة حملات التشكيك – ص ١٣٩ .
٣. راجع : صوت الإسلام فى الشعر العربى المعاصر فى مصر – ص ١٨٥ .

وكان من هؤلاء الشعراء : "حسن جاد" و "محمد خفاجى" و "محمود فايد" و "محمد صان الدين" و عبد الغفار هلال" و "أحمد عمر هاشم" و "الشحات أبو ستيت" وغيرهم عشرات مما لا يتسع المقام لذكرهم .

فهذا هو الشاعر "الشحات أبو ستيت" يذكر هزيمة المصريين أمام إسرائيل فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م بكل الأسى والألم .

فقد كانت إسرائيل تدرك أن قوة مصر هى الصخرة التى لابد من التغلب عليها لتستطيع تحقيق أطماعها فى التوسع على حساب الدول العربية المتاخمة لها.

وقد تأكدت إسرائيل من ذلك من خلال إعلان الحكومة المصرية إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية ؛ إحكامًا للحصار الاقتصادى الذى يفرضه العرب على إسرائيل ، وأيضًا من خلال تضامن مصر مع سوريا ضد أى عدوان إسرائيلى .

وقد استفزت هذه الأمور مشاعر إسرائيل فدفعتها إلى توجيه ضربة قاسية إلى السلاح الجوى المصرى فى فجر اليوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م ، كما أغارت قواتها البرية والجوية على أرض سيناء فاستولت على قطاع غزة حتى وصلت إلى الضفة الشرقية لقناة السويس بعد أن خسرت مصر الجانب الأكبر من قواتها المسلحة فى سيناء .

كما استولت إسرائيل على هضبة الجولان المنيعة فى سوريا ، واستولت على فلسطين ، والضفة الغربية لنهر الأردن[1] .

١. راجع : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرين – ص ١٧٣ ، طبعة عام ١٩٨٩م.

كل ذلك حدث فى لمحة خاطفة ، والدول العربية المستقلة تمزقها ريح الخلاف، وتشتعل فيها الفتنة ، وكأن أصحابها سكارى لا يدرون كيف كان ما كان!!

يقول الشاعر من قصيدة له نظمها فى مناسبة المولد النبوى الشريف مشيرًا إلى تلك الجوانب[1] :

يا خالد الذكر نشكو حال أمتنا ... فوصفها معجز قولى وتبيانى

أرنو إليها بطرف العين فى أسف ... فتعصر القلب آلامى وأحزانى

قد مزقتها سهام الخلف فى دول ... وكل قوم جروا فى ذيل شيطان

تاهت معالمهم ، هانت عزائمهم ... خارت معاقلهم ، باءوا بخسران[2]

واستأسدوا فى خلاف طاف بينهم ... واستنوقوا فى جهاد ضد عدوان

ضاعت فلسطين والأبصار شاخصة ... وقد تلتها ضياعا أرض جولان[3]

ولم يكن من المعقول أن يخلد العرب إلى الصمت والرضوخ للأمر الواقع ، وإنما انقدحت فى قلوبهم شرارة الغيرة ، وذاب الصمت الحزين من حرارة القلوب ، وأخذوا يعدون العدة ، ويحكمون الخطط ، ويقومون ما أعوج من أمرهم ، حتى تحقق لهم النصر الكبير فى السادس من أكتوبر المجيد كما أسلفنا .

هذا ، ولعل شعراء الأزهر المعاصرين لم يحتشدوا حول حدث من الأحداث المعاصرة قدر احتشادهم حول "قضية فلسطين" ؛ ذلك لأنها جزء غال من الوطن

١. مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور : العدد الثانى سنة ١٩٨٤م – ص ١٩٣ ، والأبيات من البسيط التام .
٢. إشارة إلى هزيمة ١٩٦٧م .
٣. إشارة إلى حرب لبنان على أثر النكسة .

العربى ، بل هى قلب العروبة ، ويرتبط المسلمون بها ارتباطًا وثيقًا نظرًا لما لهم فيها من ذكريات دينية عظيمة ترتبط بحادث الإسراء والمعراج ، كما أنها قبلة المسلمين الأولى .

ونحن عندما ننظر إلى القضية الفلسطينية نظرة عاجلة حسب ما يقتضيه ، نجد أنها كانت قبل الحرب العالمية الأولى[1] جزءًا من أملاك الدولة العثمانية ، وما إن انتهت هذه الحرب بهزيمة الأتراك حتى وقعت هذه المنطقة المباركة من أرض العروبة بين مخالب الاستعمار البريطانى من ناحية ، وبين جشع الصهيونية[2] العالمية من ناحية أخرى .

وقد بدأت هذه القضية تأخذ شكلاً جديًا من يوم أن أصدر اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا تصريحه المشئوم فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧م الذى يعد فيه اليهود بإقامة وطن قومى لهم بفلسطين .

وبمجرد أن انتهت الحرب ، وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى ، وأقرت ذلك عصبة الأمم المتحدة عام ١٩٢٢م ، كما وافقت أمريكا فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٢٢م على هذا الانتداب .

ومنذ قيام الانتداب البريطانى فى هذه البقعة المباركة ، أضحت تحت سلطة الحاكم البريطانى الملقب بالمندوب السامى ، وقد كانت كل تصرفات اليهود تنبئ عن سوء نواياهم ، حتى انتهى الانتداب البريطانى فى الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٤٨م بقيام دولة إسرائيل التى لن تعترف بها الشعوب الإسلامية ما بقيت فيها نبضات من الحياة[3] .

---

١. عام (١٩١٤ – ١٩١٨م) : وكانت بين تركيا وانجلترا ، وفيها انهزمت تركيا .
٢. كلمة "الصهيونية" نسبة إلى جبل "صهيون" بفلسطين .
٣. راجع : العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ، د. سعد الدين الجيزاوى – ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

والذى ينبغى أن ندركه تمامًا ، هو أن ما حدث لفسلطين ، وما تعاقب عليها من خطوب وأهوال ، كان نتيجة لخطة انجليزية صهيونية أنفق عليها المستعمرون والصهيونيون خلال الحرب العالمية الأولى وقبلها ، وعمد الفريقان ومن ورائهما – فيما بعد – الأمريكيون إلى تنفيذها خطوة خطوة ، وحلقة حلقة ، وأن كل ما كان يدعيه الانجليز من تقديم عروض وحلول ، وما قاموا به من إرسال لجان التحقيق التى أتخمت بها فلسطين ، إنما هو خداع ونفاق ، وتخدير للأعصاب ، وصرف للأنظار عن حقيقة المؤامرة الاستعمارية الصهيونية المبيتة ضد فلسطين ، والتى كانوا مصممين على تنفيذها عن طريق سياسة الوطن القومى اليهودى ، والانتداب الذى فرض على عرب فلسطين فرضًا[1] .

وسوف نبين الآن كيف تناول شعراء الأزهر المعاصرون – بغيرتهم الدينية – هذه القضية ، وكيف أنهم لم يألوا جهدًا فى مناصرتها ، والدعوة إلى تأييد حق العرب فيها ، والحث على جمع ما تفرق من الصفوف حتى يعود الحق يومًا لأصحابه .

فهذا الشاعر "محمد صان الدين" يعرض القضية الفلسطينية بصورة تدمى القلوب ، فهى دولة إسلامية فتكت بها أيدى الغدر الآثمة ، فحولت بياض أيامها إلى سواد حالك ، وما ذلك إلا لأن العدو قد وجده وطنًا بلا حارس يذود عنه ، فألقى عليه بكل قيود الضيم والمهانة حتى يحكم قياده .

لقد باتت فلسطين فى دجى الأسر اللعين تكوى على جمر الليالى ، وتندب الحظ التعس الذى ألقى بها بين مخالب الذئاب الحاقدة التى لا ترحم ، ولا تعترف بآدمية الإنسان .

---

١. راجع : المصدر السابق – ص ١٦٩ .

وماذا يجدى بعد أن وهى الحبل ، وانفرطت حبات العقد ، وذهبت بددًا هنا وهناك .

لقد هب الفلسطينيون يعرضون مشكلتهم على كل الجهات المسئولة ، ويندون بمرارة الأسر الواقع عليهم ، لعلهم يجدون منقذًا يخلصهم من براثنه اللعينة ولكن .. وا أسفاه .. لقد أصم الغرب أذنه عن سماع أصواتهم ، ولم يلتفت إليهم فى الشرق أحد .

وظلت فلسطين تعانى من وطأة القيد فى ظل بشر انعدمت فى قلوبهم كل معانى العدالة .

يقول الشاعر من قصيدته "مسرى النبى" التى نظمها فى مناسبة الإسراء والمعراج مشيرًا إلى تلك المعاناة[1] :

ماذا ؟ فلسطين فى أسر معذبة ... قلب العروبة سهم الغدر أصماه

يا ويحه من حمى أمسى بلا سند ... قد قيدت بقيود الضيم كفاه

يطوى جوانحه الحرى على حزن ... أما الحماة فعنه اليوم قد تاهوا

كالعقد قد ذهبت حباته بددا ... لما وهى خيطه ، فالجذب أهواه

فى كل فج سعوا يستنهضون له ... عزائما قبلما ناعيه ينعاه

لا الغرب – من حنق – أصغى لصيحته ... كلا ولا سامع فى الشرق لبّاه

إن العدالة فى الدنيا إذا اندثرت ... فالختل فى شرعة المظلوم محياه

وقد وجدت الدول الاستعمارية الكبرى – كانجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية – أن وجود اليهود بأرض فلسطين سوف يسهل لهم عملية التدخل فى

١. مجلة الأزهر : عدد رجب سنة ١٣٨٧هـ ، وللأبيات من البسيط التام .

منطقة الشرق لتحقيق أطماعهم ، فكان أن أقروا الوجود اليهودى بفلسطين بحجة العمل على إقرار السلام فى المنطقة .

يقول الشاعر "محمد صان الدين"[1] :

الكل قد رامه كلبا يصيد به ... فى ساحة العرب صيدا قد تمنّاه

لكنهم غفلوا عن أنه ضبع ... يوما سيسطوا عليهم فاغرًا فاه

إن الخسيس إذا ما اشتد ساعده ... أهوى على رأس من بالأمس قد رعاه

وقد يبهت الإنسان عندما يقف وقفة تأمل ، ويسأل نفسه : أين تلك البقاع المباركة التى وقعت فيها بعض أحداث الإسراء والمعراج ؟ فيأتيه الجواب تختلط فيه الدموع بالألم والأنين المنبعث من أغوار النفس ، وتجويفات الباطن .

وكيف لا يتألم الإنسان ، وتمتلئ نفسه بالهم والنكد ، وقد أصبحت القدس منقلبًا يهاجر إليه كل من لا وطن له ولا ملجأ من اليهود بصورة توقع أصحاب البلاد الأصليين فى كارثة محققة .

وعلى أثر هذه الهجرات ، ضاقت البلاد ، وزاحم اليهود العرب المسلمين ، ونكلوا بهم ، واستولوا على أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأرهبوا العباد ، وسعوا بالفساد ، وبعد ذلك يزعمون أنهم حماة السلام ، وهم فى غفلة عن أنهم وأدوا حمامة السلم ، واغتالوا أمانيها .

يقول الشاعر "الشحات أبو ستيت" مشيرًا إلى هذه المعانى من قصيدته بكاء فى الإسراء"[2] :

---

١. مجلة الأزهر : عدد رجب سنة ١٣٨٧هـ ، والأبيات من البسيط التام .

٢. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر : ولدى نسخة منها بخطه وتوقيعه ، والأبيات من بحر البسيط التام .

هل تسألون دجى الأحدث فى خجل ... أين البقاع التى كان السرى فيها ؟
يأتى الجواب أنينا داميا جزعا ... مروا النساء بأن تبكى بواكيها
قد أضحت القدس واويلاه منقلبا ... للتائهين ليرعوا فى مراعيها
وشردوا الأهل بعضا فى مخيمه ... والبعض يمشى مكبا فى فيافيها
وينشدون سلاما بعد ماوأدوا ... حمامة السلم واغتالوا أمانيها

لقد استولى اليهود على القدس فدنسوا طهره بأجسادهم القذرة ، واستبدوا بالمسجد الأقصى ، وامتهنوا قداسته وأحرقوه ، وضيقوا على المسلمين فى أداء شعائرهم الدينية ، وكثرت أجراس الكنائس هنا وهناك حتى أصبح أذان المسلمين للصلاة يظهر مخنوقًا ومكبلاً بالأثقال ، وأصبحت المآذن كأنها أياد لفلسطين الأسيرة تجأر بالشكوى إلى الله ليخلصها من ظلم واقع وظالم غشوم .

يقول الشاعر "حسن جاد" من قصيدته طفى هجرة الحق" مصورًا ذلك[1] :

يا نبى الإسراء مسراك فى القد ... س مشى الرجس فى ثراه المطهر
واستبد الذئاب بالمسجد ... وداسوا محرابه والمنبر الأقصى
والأذان القدسى قد خنقته ... ضجة البوم بالنعيب المنكر
وكأن المآذن الشم أيد ... لفلسطين بالشكاية تجأر

ولأن مناسبة الهجرة النبوية تحيى فى النفوس روح الجهاد والنضال ، فقد عمل الشاعر على استدعاء شخصية الرسول ﷺ ، ملتمسًا منه ﷺ نظرة تحيى موات

١. مجلة الأزهر ، عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ - ص ٣٩٧ ، والأبيات من الخفيف التام .

القلوب ، وتوقظ خوامد الهمم ، وتجدد العزم فى النفوس لاستعادة ما ضاع ، وجبر ما أنكسر .

وهو ما يدل على استغلال شعراء الأزهر للمناسبة فى المرحلة المعاصرة استغلالاً حسنًا .

يقول[1] :

نظرة منك يا محمد تحيى عزمات كادت تفل وتبتر

ومضة من سناك تجلى دجى الليل ، وتجلو وجه السلام المعفر

ويبدو الشاعر "محمود فايد" حزينًا متألمًا ، ساعيًا إلى شحن القلوب والعقول بروح الحماس والجهاد لتخليص المسجد الأقصى من القيود والأغلال التى تكبله ، مشيرًا إلى أن الرسول ﷺ لن يرضى عنا حتى نأخذ بثأر المسجد الأقصى .

ولن نستطيع أن نحقق تلك الغاية النبيلة بحفلات الرقص ، ومشاهدة الغانيات العاريات ، وإنما نبلغها بإعداد العدة ، وطرح حياة اللهو والفجور ، والابتعاد عن المنكرات ، والتوكيل على الله فى عزم أكيد ، وصبر طويل ، وجهاد للنفس ، وبذلك تعود إلينا القدس يومًا لترتفع فوق ترابها أصوات الموحدين .

يقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة "الإسراء والمعراج"[2] :

فلسطين مسرى المصطفى غاب نجمها وحل بها جند اليهود وعسكروا

فإن تذكروا الإسراء صاح نبيكم أبا لرقص يا قومى نغزوا ونفخر

فإن تذكروا الإسراء صاح نبيكم أبا لغانيات العاريات نحرر

١. نفس المصدر السابق : والصفحة .
٢. مجلة الاعتصام : عدد رجب سنة ١٣٨٧هـ - ص ٨٠ ، والأبيات من بحر الطويل .

فإن تذكروا الإسراء صاح نبيكم ... عليكم بإجلاء اليهود فشمروا

يروع روحي أن تعيشوا أذلة ... وأن تقبلوا سلب الحقوق وتصبروا

خذوا حذركم لا تغفلوا وتوكلوا ... على الله في عزم ولا تتقهقروا

أغيروا عليهم كي تقيموا احتفالكم ... (بتل أبيب) في مواكب تبهر

فما كان يرضى المصطفى غير حفلة ... بداخل إسرائيل للقدس تثأر

ويأمل الشاعر في وحدة إسلامية كبرى مسموعة الكلمة ، مرهوبة الجانب ، يقودها قائد شجاع ، يعمل لإعلاء راية الحق ، ويقف صامدًا في وجه تيارات البغي والطغيان الجارفة التي تنساب على البلاد من ناحية الغرب ، فتورثها الشقاء والبلاء ، ويعمل – كذلك – لأجل تخليص فلسطين من ذل الأسر ، وهوان القيد ، ويطهر أرضها من أوضار اليهود .

يقول :

أيا أمة الإسلام بحاجة ... إلى وحدة كبرى وداع يذكر

يعزبه المولى مبادئ دينه ... ويصعد للباغين لا يتأخر

يهب إلى أرض العروبة زاحفا ... يخلصها من قيدها ويحرر

ويأتي فلسطين بجيش عرمرم ... يطهرها من طغمة تتنمر

وعندما تسوء الظروف ، ويفتقد المنقذ أو المخلص ، ويعز وجوده في ساحة المعاصرين ، لا يجد الشعراء إلا اللجوء إلى الله عز وجل يطلبون منه حاجتهم ، ويفصحون له عن أمانيهم .

فهذا الشاعر الدكتور "أحمد عمر هاشم" يدعو الله ، ويتوسل إليه أن ينصر المسجد الأقصى ، ويخلصه من قبضة الأوغاد ، ويردهم عنه كما رد أبرهة وجيشه عن هدم الكعبة الشريفة مهزومن مدحورين .

يقول من قصيدته "لبيك" التى نظمها فى مناسبة حجه إلى بيت الله الحرام، شاهرًا سلاح الدعاء فى وجه كل عات[1] :

يا من هزمت عدو بيتك حينما ... جاءوه بالفيل العظيم وقوة

فهزمتهم بالطير إذ ترميهمو ... بحجارة السجيل شر هزيمة

يارب فانصر بيتك الثانى الذى ... قد كان فى الإسلام أول قبلة

ويحث الشاعر المسلمين على عدم التفريط أو التقصير تجاه القضية الفلسطينية ؛ لمكانة مسجدها الأقصى البالغة الأهمية فى قلب كل مسلم ومسلمة ، ويعلن أن هذه البقاع المباركة لن تيأس من الجهاد من أجل إخراج العدو الغاصب ، وتطهير الأرض من رجسه وفحشه .

ولن يتحقق هذا الأمل الواعد إلا بتوحيد الكلمة العربية ، وتقديم المساندات لهذه الدولة المنكوبة ، من أجل النهوض بها ، والأخذ بأيديها إلى طريق النور .

وكما أن الصبح لا يأتى نوره ، ولا ينفجر ضياؤه إلا عندما تشتد ظلمة الليل ، وتتعثر الخطا ، فإن النصر سيدنو يومًا ، وترتفع رايته فوق ربوع القدس الشريف ، ويعيش أبناؤه منعمين فى ظل الحرية والسعادة .

يقول من قصيدته فى مناسبة الإسراء والمعراج ملمحًا إلى ذلك[2] :

هذا مكان أمَّ فيه (م) المصطفى رسل الهدى

---

١. نسمات إيمانية : ص ٢٥ ، والأبيات من بحر الكامل التام .
٢. نسمات إيمانية : ص ١٦ ، ١٧ ، والأبيات من بحر الكامل التام .

والأنبيـــاء هنـــاك ظلـــــــــ ... لـــــــــوا يرقبـون الموعدا
مـــــا إن تجلـــــى ربهـــــم ... إلا وخـــــــــروا ســــــــجدا
أتـــرى بقـــاع مثـــل هـــذى ... تســـــتكين لمـــــن عـــــدا ؟
هـــى أرض ميعـــادى الحبيبـــة ... لـــــن أضـــــيعها ســــــدى
قســـــما بمســـــجدها الـــــذى ... أســـرى لـــه هـــادى الهـــدى
للـــــروح والـــــدم والبنـــــون ... وكـــــل مـــــا بيـــــدى فـــــدا
فـــأخى هنالـــك لـــن يعـــيش ... علـــــى متاهـــــات الـــــردى
مـــــا بـــــين فوهـــــة الفنـــــا ... ء وبـــــين زلزلـــــة العـــــدا
أيظـــــل يحيـــــا لاجئـــــا ... ومكـــــــــبلا ومشـــــــــردا
لا ، لـن يظـل ففجـره الـــــــ ... قـــانى أطـــل علـــى المـــدى
ليفجـــر الصـــبح الجـــرى ... ءَ منعمـــــــا ومـــــــوردا
ويعـــيش فـــوق الأرض أر ... ض النـــور حـــرا مســـعدا

فـإذا تركنـا قضـية القـدس الشـريف ، ونظرنـا إلى أمـاكن أخـرى مـن ديـار الإسلام، فسوف نجد أن هناك هزائم وانكسارات عديدة أخرى حلت بالمسلمين فى أماكن متعددة .

فقـد انفجـرت نـيران الحقـد والعـداء فـى قلـوب الأوربـيين ، فأخـذوا ينكلـون بالأقليات الإسلامية فى بلادهم ، ويعبثـون بأوطانهم عبث المعتوه الأبله الذى فقد الإدراك والتمييز.

وإن شئت فاقرأ عما حدث للمسلمين فى كل من الشام والهند ، والبوسنة والهرسك ، على أيدى طغاة ظالمين تحجرت قلوبهم ، وعميت بصائرهم ، فراحوا يقتلون الرجال ، ويذبحون الأطفال ، ويستبيحون أعراض العفيفات ، ويأسرون ما يقدرون على أسره منهم .

وما حقد روسيا على الشيشان عن أسماعنا ببعيد ، وما أخبار ضحاياه على أسماعنا بغريبة .

والغريب أن الأمة الإسلامية – وهى قوة ضاربة إن اتحدت – رأت كل هذه الأحداث وعاشتها ، ومع ذلك وقفت عاجزة عن تقديم أى شيء ، ولم يسمع منها سوى الصخب والتذمر لما يحدث عن طريق الكلمات الجوفاء التى لا تزيد الأمر إلا تمويهًا وشدة .

يقول الشاعر "الشحات أبو ستيت" مشيرًا إلى تلك الإنكسارات الكثيرة التى منى بها العالم الإسلامى ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة الإسراء والمعراج[1] :

فى القدس مجزرةً ، فى الشام مذبحة ... فى الهند مقتلة ، كشمير ترويها

فى البوسنة انفجرت نارً مدوية ... الصَّربُ أجّجها والغرب يذكيها

أفنت رجالاتها ، جزّت براعمها ... غالت عفيفاتها ، باعت ذراريها

والغرب ينهش فى الشيشان يدعمه ... صمتُ الجميع ليهدمها ويفنيها

وأمام هذا السيل الجارف من الانكسارات والهزائم التى بلى بها العالم الإسلامى المعاصر ، يقف كل واحد منهم متطلعًا إلى من يخلصه من ورطته ، وينتشله من كبوته ، فلا يجد سلاحًا إلا سلاح العودة إلى الله ، وإعلان الجهاد ،

١. القصيدة مخطوطة لدى الشاعر : ولدى نسخة منها بخطه وتوقيعه ، والأبيات من بحر البسيط التام .

تعبيرًا عن انتصار ذلك الإنسان على نفسه ، ورغبته الأكيدة فى تخليص أرضه وعرضه من بين براثن الشر والضياع .

والحق أن شعراء الأزهر المعاصرين قد عبروا عن هذه الأحداث وواكبوها بشعرهم الذى نظموها فى المناسبات الدينية المختلفة ، كما قاموا بدور ريادى فى التوجيه والإرشاد من خلال استغلال المناسبة استغلالاً حسنًا للتعبير عن ظروف حياتهم ، وهو ما يبدى الشاعر الأزهرى المعاصر ، حاملاً هموم أمته ، مشغولاً بما يشغلها ويؤرق جانبها ، عاملاً على إيجاد الحلول المناسبة لمشاكلها ، من خلال ما يقدمه من توجيه ، ومن رؤية جديدة للمستقبل .

وما ذلك إلا لأن الشاعر الأزهرى يؤمن تمام الإيمان أن كل بقعة على وجه الأرض ، ترتفع فيها كلمة "لا إله إلا الله ، محمد رسول الله" فهى بقعة إسلامية ، ينبغى الحفاظ عليها ، وبذل النفس والروح دونها .